
على ضفاف الوصيّة
العلامة المرجع
السيّد محمد حسين فضل الله
دار الملاك

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعَة الاولى

١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

دار الملاك طباعة - نشر - توزيع .

بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك ـ قرب مستشفى الساحل ـ هاتف: ٠٣/٧٥٥٢٠٠ ـ ٠١/٤٥٠٧٦٩

ص. ب ٢٥/١٥٨ الغبيري .

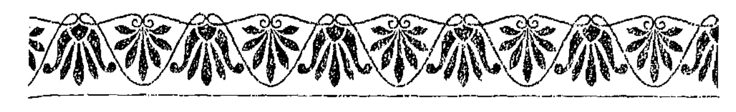
مقدّمة

هذا الكتاب هو عبارة عن سلسلة من المحاضرات الرمضانيّة التي شرح فيها سماحة آية الله العظمى السيّد محمد حسين فضل الله وصيّة الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) لمّا ضربه ابن مُلجم، وذلك بمناسبة ذكرى وفاته (ع) الواقعة في الواحد والعشرين من شهر رمضان المبارك.

وقد غلب على تلك الأحاديث الطابع الشعبي، الذي يُحاول، من خلال الوصيّة، أن يَتناوَل بعض المفاهيم الإسلاميّة بصورة مبسّطة، بعيدة عن النمط البحثي، غير خالية - في الوقت نفسه - من ملامسة العمق في الفكرة. وقد قام نجله السيّد جعفر بجمع تلك المحاضرات، محرّراً لعباراتها حتى تُصبح أقرب إلى طبيعة الكتاب، مضيفاً عليها، تحت نظر والده (حفظه الله) بعض التوضيحات والشواهد من الآيات القرآنيّة، والأحاديث الشريفة، وبعض ما ورد في تفسير "من وحي القرآن"، حتى غدا هذا الكتاب وافياً بما يُراد منه، مؤسّساً لثقافة هذه الوصيّة الخالدة، التي شكّلت عُصارة حياة أمير المؤمنين (ع) فيما أهمّه، مما هو همّ الإسلام.

والله نسأل أن يعمّ بهذا الكتاب النفع، ويُعظم به الأجر، ويجعله ذخراً ليوم القيامة، إنّه سميع مُجيب.

الناشر



أوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدُنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا

عَلى شَيءٍ منها زُوِيَ عنكُما، وقُولا بالحق. واعملا للأجرِ. وَ

كُونا للظالمِ خصماً ولِلمظلُومِ عوناً:

أُوصيكُما وجميعَ وُلدي وأهلي ومَن بلغهُ كتابي بتقوى اللهِ وَ

نَظمِ أمرِكُم

وَصلاحِ ذاتِ بينكُم، فإنِي سمعتُ جدَكُما -صلى الله عليهِ وَ

آلهِ وسلم- يقولُ: صلاحُ ذاتِ البينِ أفضلُ من عامةِ الصَلاةِ وَ

الصِيامِ.

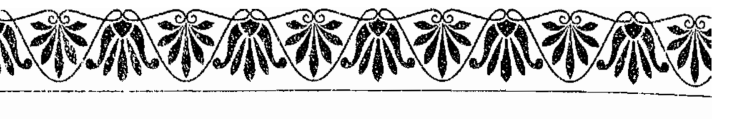
اللهَ اللهَ في الأيتامِ، فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم

وَاللهَ اللهَ في جيرانِكُم، فإنَهم وصيةُ نبيكُم، ما زالَ يُوصي

بهِم، حتى ظننا أنَهُ سيُورثهُم.

وَاللهَ اللهَ في القُرآنِ، لا يسبقكُم بالعملِ بهِ غيرُكُم

وَاللهَ اللهَ في الصَلاةِ، فإنَها عمودُ دينِكُم



والله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا.

والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله.

وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع.

لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم

يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون: "قتل أمير المؤمنين" ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي.

انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثلوا بالرجل، فإني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– يقول: "إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور".

تمهيد

ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك هي ليلة الجريمة الكبرى التي قام بها عبد الرحمن بن ملجم في اغتيال الإمام وهو يصلي في محرابه. هذه الجريمة التي أبعدت أعظم شخصية بعد رسول الله (ص) عن الواقع الإسلامي، في الوقت الذي كان فيه الواقع بأمسّ الحاجة إليها، لتسير به خطوات كبيرة وواسعة إلى الإمام.

ولم يكن اغتيال الإمام علي (ع) وليد لحظته، بل كان نتيجة لسلسلة من الأحداث كان أبرزها مسألة التحكيم التي أفرزتها حرب صفين التي فُرضت على الإمام عليّ أمير المؤمنين (ع) بفعل تمرّد معاوية بن أبي سفيان، الذي تمرد على الخلافة الشرعية آنذاك، والتي كانت شرعيّة بكل الاعتبارات، وبإجماع من الأمة على الإمام علي (ع) لم يتوفر لسابقيه. وأطلق معاوية في تلك الحرب شعار "الطلب بدم عثمان"، كحجّة له على عدم الاعتراف بشرعية خلافة علي (ع)، في حين أن علياً (ع) براءٌ من دم عثمانٍ.. ومنذ ذلك الحين أصبحت مسألة "قميص عثمانٍ" مثلاً يضرب في كل حالة يطلق فيها الإنسان شعاراً من أجل تبرير موقفه من دون حق.

وامتدت الحرب، وكاد الإمام (ع) أن ينتصر، لولا الخديعة التي قام بها معاوية، بإشارة من مستشاره عمرو بن العاص، بأن يرفع أهل الشام المصاحف، ويطلبوا الاحتكام إلى كتاب الله سبحانه وتعالى، ليكون كتاب الله هو الحَكَم الذي يرجع إليه طرفا الحرب في حلّ المشكلة، على أساس قوله تعالى: (فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول)[1]. وانطلت الحيلة على بعض جيش

الإمام (ع)، بفعل الذهنية السطحية التي لا تحاول النفاذ الى عمق الأمور، مع أن الإمام (ع) حاول أن يعرّفهم بأن القوم "ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن" وقال لهم: "... إنهم ما رفعوها ثم لا يرفعونها، ولا يعلمون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيدة". فقالوا له ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله، فقال لهم: فإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم، ونسوا عهده، ونبذوا كتابه"[٢].

وبهذا أوجد طرح معاوية حالاً من الفوضى والاهتزاز في جيش الإمام (ع)، بحيث أصبح الاستمرار في الحرب صعباً جداً؛ حتى أن الإمام نفسه قد تعرّض للضغط والتهديد مِنْ قِبَلِ مَنْ أصبحوا فيما بعد يعرفون بالخوارج، وقد تمثّل هذا الضغط في أمر الإمام (ع) لمالك الأشتر بالتوقف، وقد كان على مشارف النصر.

أمام هذه الفتنة قَبِلَ الإمام (ع) بالتحكيم، خصوصاً وانه كان بإمكان هذه الفتنة أن تأخذ منحىً آخر في الذهنية العامة للمسلمين، . ربما بسبب سذاجة الإيمان لدى هؤلاء، والتي تجعلهم يفكّرون بأن الشعار الذي طرحه معاوية هو شعار الاحتكام إلى كتاب الله، والإمام علي (ع) هو خليفة المسلمين، فكيف لا يقبل بذلك؟!، مما قد يدفع بالمسألة لدى هؤلاء إلى جانب خط معاوية، بعيداً عن الخط الذي يمثّله علي (ع)، في الوقت الذي نعي فيه جيداً أن بعض الشعارات كشعار الاحتكام إلى كتاب الله، التي تنطلق في بعض الحالات، مما قد لا يمكن للإنسان أن يقف أمامها، حتى لو كانت خلفياتها غير صحيحة.

عل كل حال . آل الأمر إلى مفاوضات، طرح فيها أهل الشام عَمْراً بن العاص، والخوارج أبا موسى الأشعري، ولكن الإمام (ع) رفض طرحهم لأبي موسى؛ لأنه ليس بثقة وطرح ابن عباس، فقالوا: "ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس، لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء[٣] . وحين أبوا إلا أن يكون أبو موسى قال لهم: "فاصنعوا ما أردتم"[٤] .

وكان أن اتفق عمرو بن العاص وأبو موسى على أن يخلع كل واحد منهما "أميره". وينتخب المسلمون خليفة بعد ذلك. وتكون المسألة قد انتهت من جذورها ويرتاح المسلمون. وانطلت الحيلة على أبي موسى. وقدّمه عمرو بن العاص ليخلع مولاه أولاً. باعتبار أنه أكبر منه سناً. وأقدم صحبةً. فوقف أبو موسى وقال: إننا قررنا أن نخلع علياً ومعاوية. فقال عمرو بن العاص: هو قد خلع صاحبه. وأنا أثبّت صاحبي.

وثارت الفوضى. وهنا نشأت فرقة الخوارج الذين قالوا لعلي (ع) إنك أشركت وكفرت. لأنك حكّمت الرجال في دين الله. ولا حكم إلا لله. وبدأ الإمام (ع) يحاورهم. وحاول أن يبين لهم بأنه وإن كان أنّه لا حكم إلا لله. ولكنّ حركة الحكم في الواقع لا بد أن تكون من خلال الرجال. وقال ما نصّه: "كلمة حق يراد بها باطل. نعم إنه لا حكم إلا لله. ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله. وإنه لا بد للناس من أمير بَرٍّ أو فاجر. يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع بها الكافر..."(٥).

عقلية الخوارج في امتداد الزمن:

هؤلاء القوم الذين كانت على جباههم ثفنات كثفنات البعير من أثر السجود. كانوا يملكون عقولاً مغلقة. غير مستعدين للنقاش والحوار. فاعتزلوا الإمام (ع). وأصبحوا فريقاً داخل منطقة سلطة الإمام (ع). وأصبحوا يعرفون بالخوارج.

هذا الفريق. بمعناه وحركته. موجود في كل زمانٍ ومكان: حيث نجد في كل وقت. وفي كل موقع. أناساً يحفظون بعض الشعارات. من دون أن يعرفوا عمقها وخلفياتها وامتداداتها على صعيد الواقع. فالشعار له معنى ثقافي ومعنًى واقعي. وليس الشعار شيئاً معلقاً في الهواء. بل لا بد أن يتحرك في الواقع من خلال أدوات الواقع.

وهذا الجهل هو ما نجده في كثير من حالات الواقع الإسلامي على مدى التاريخ: بحيث يصل إلى المستوى الذي يقف فيه جماعةٌ من الناس ليقولوا لعلي بن أبي

طالب (ع): لقد كفرت.. في الوقت الذي قام الإسلام على عقله، فيما أعطاه للإسلام من عقل، وعلى جهاده فيما أعطاه له من جهاد، وعلى حياته وكل كيانه.

وهكذا، نجد الكثير من المصلحين الذين ينطلقون من أجل إصلاح واقع الأمة وانقاذها من كثير من الانحرافات، والسير بواقعها بعيداً عن الجهل والتخلف، فيبادر أمثال أولئك الخوارج، من الذين قد يكون لهم صفة الإيمان والعبادة، ولكنهم لا يعيشون وعي الإيمان وعقله وحركته، يبادرون ليكفّروا هذا، ويضلّلوا ذاك، وما إلى ذلك.

كيف تعامل الإمام (ع) مع الخوارج؟

أمام كل هذا الواقع الذي واجه الإمام (ع)، لا بد لنا أن ندرس كيفية تعامل الإمام (ع) مع هؤلاء الناس الذين خرجوا عليه، وهو خليفة المسلمين الفعلي آنذاك. فنجد أن الإمام (ع) لم يضطهدهم، ولم يقاتلهم، أو يعرض لهم بسوء؛ بل دخل معهم في حوار، بشخصه تارة، ومن خلال بعض أصحابه، وفي مقدمتهم عبد الله بن عباس، تارة أخرى. ولكنهم كانوا لا يعرفون لغة الحوار، وكانوا ممن (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة)[1]. والعقول المغلقة هي المشكلة الكبيرة أمام الدعاة في كل مجتمع وكل زمان، وقد جاء في الحديث: "قطع ظهري اثنان: عالم متهتّك، وجاهل متنسّك، هذا يصدّ عن علمه بتهتّكه، وهذا يصدّ عن نسكه بجهله"[2].

حتى إذا بلغ الأمر بالخوارج أن عاثوا في الأرض فساداً، وقطعوا طريق المسلمين، وقتلوا الخبّاب وزوجته، فعند ذلك حاربهم الإمام (ع) من أجل إقامة النظام العام للمسلمين، ولم يحاربهم اضطهاداً للفكر الذي وقفوا فيه ضده وخرجوا به عليه. وقد استطاع الإمام (ع) أن يقضي على أكثرهم، باستثناء جماعة بدأ أفرادها يتآمرون للتخلص من الإمام علي (ع) ومن معاوية وعمرو بن العاص: فأرسلوا شخصاً إلى الشام، وآخر إلى مصر، وثالثاً إلى الكوفة وهو عبد الرحمن بن ملجم، الذي نجح في مهمته، بينما لم تتمّ مسألة التخلص من معاوية

وابن العاص.

وهكذا كان اغتيال الإمام سلام الله عليه مؤامرة من قبل هؤلاء الذين كانوا يعبدون الله عز وجل عن جهل، ولا يعرفون طبيعة الخطوط الإسلامية الواقعية التي تعرف كيف تحرك النظرية في عالم التطبيق.

الحذر من الفتن المماثلة:

عندما نتذكر هذه الحقبة التاريخية، بكل إيحاءاتها، فعلينا أن نتابع الأوضاع المماثلة لما كان عليه الخوارج، هذه الأوضاع التي تتحرك في الواقع الإسلامي، وذلك عندما ينطلق بعض الأشخاص أو الجهات من أجل اغتيال إنسان مسلم أو مصلح، سواء كان هذا الاغتيال جسدياً أو معنوياً. ولا بد من العمل على أن لا تتكرر فتنة الخوارج في كل الواقع الإسلامي، أولئك الذين كانوا يوحون للناس بالثقة من خلال مظاهرهم الخارجية، في وقت كان واقعهم واقع المنحرفين عن الإسلام، الذين يكيدون للإسلام باسم الإسلام. فإن المطلوب أن يكون هناك وعيٌ لطبيعة المؤامرات الكبيرة التي تحاك ضد رموز الإسلام وجهاته الفاعلة، من قبل المخابرات الدولية، أو الإقليمية، التي تعمل على استغلال بعض نقاط الضعف الموجودة في واقعنا، لتقتل أكثر من علي، في أكثر من واقع، ولو كانت نسبته إلى علي (ع) كنسبة الواحد إلى الألف.

كيف نقرأ عليّاً (ع)؟

ونحن في واقعنا الآن، وقد مضى أمير المؤمنين (ع) إلى رحاب الله عز وجل، لا بد لنا أن ندرس كيفية الاستفادة من علي (ع) في كل ما انطلق به في حركة حياته، وفي كل ما تناوله في كلماته وحكمه ومواعظه.

فعلي (ع) كان الإنسان الذي يعيش في امتداد أمّته، لا في نطاق عائلته.. ولم يكن لعليٍّ الشخص حصّة في عليٍّ الحركة؛ لأن علياً (ع) لم يأخذ من دنياه لنفسه، بل كان عطاؤه للإسلام كله. وقد قال: "ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا

وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد"[٨]. وعليٌّ هو الإنسان الذي باع نفسه لله، وذلك قوله تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد)[٩]، حيث ورد في أسباب النزول أنها نزلت في علي (ع) عندما بات في فراش النبي (ص) ليلة الهجرة، غيرَ عابئ بالموت الذي ينتظره؛ إذ كل همّه سلامة الرسول والرسالة.

لنقرأ القرآن كتاباً وحركة:

ومن خلال ذلك، نتصور أن على كل العاملين للإسلام، سواء كانوا عاملين في النطاق الثقافي، في مجال الدعوة إلى الإسلام، أو في النطاق الجهادي من أجل الإسلام، أو الإجتماعي، أو السياسي، أو ما إلى ذلك، عليهم كما يقرأون القرآن في المصحف، أن يقرأوه في الواقع الحركي الذي يتمثل بالأشخاص الذين ربّاهم الله تعالى على صورة القرآن.. أوّلهم رسول الله (ص) إمامنا ونبينا وهادينا، الذي كان أستاذ علي (ع) الشخصية القرآنية الثانية، الذي كان حقاً كله، في الفكر، والعاطفة، والسلوك، والحكم، والعلاقات، والمشتهيات، وكل الأوضاع. وعنه قال رسول الله (ص): "علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه حيثما دار"[١٠]. ولا نستطيع أن نجد شخصية تحركت بكل هذا التنوّع، من يمكن أن يكون صورة للحق بعد رسول الله (ص)، كعلي (ع)، ولا بد لنا أن نعيش مع علي (ع) هذا الأفق الواسع الذي كان يعيشه في كل حياته وتطلعاته وإيمانه، وهو الذي قال: "لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً"[١١]. لذلك ونحن نلتزم علياً في ولايته، ولاية الحق، وفي خلافته، خلافة الحق، فعلينا أن لا نلتزمه اسماً، بل أن نلتزمه ثقافة؛ لأنه (ع) قد أعطى من علمه، الذي هو علم رسول الله (ص)، ما جعل العالم كله يخشع عندما يذكره في فكره وعلمه، ولا يزال العالم يتغذّى بما أعطاه الإمام (ع) من خلال كتاب الله سبحانه وتعالى، ومن خلال رسول الله (ص). كما أن على الحركات الإسلامية التي تعمل في أرض الواقع، أن تتثقف بثقافة علي (ع)؛ لأنها الثقافة التي

توفر علينا الكثير من المتاهات والأخطاء التي يمكن أن تواجهنا في العمل الإسلامي.

* * * *

وصية علي (ع) والمنهاج الأمثل:

وقد توجّه علي (ع) إلى ولديه الحسنين (ع)، ومن خلالهما إلى جميع ولده، ومن بلغه كتابه، ـ ونحن ممّن بلغه كتابُه ـ، ليضع للإنسان المنهج الأمثل، في حركته مع نفسه، ومع ربه، والآخرين.

وقد تكون هذه الوصية تمثل خلاصة حياة الإمام (ع) في تجربته الإسلامية منذ بداية الدعوة مع رسول الله (ص)، وفي كل ما دخل الناس فيه وخرجوا منه، حتى اللحظة الأخيرة من حياته المباركة. وهذه الوصيّة تنقسم إلى قسمين:

١ـ الوصيّة العامّة، وهي تتناول بعض الجوانب المهمّة في العبادات والمعاملات.

٢ـ الوصيّة الخاصّة، وهي تتناول ما يتعلّق بحقّه (ع) في القصاص من قاتله، ممّا يمكن أن يخوض به بنو عبد المطلب بعد استشهاده (ع)، وما يمكن أن ينتج عن سوء استخدام هذا الحق في الواقع الإسلامي.

* * *



الوصيّة العامّة

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ

توجيه الخطاب للحسنين (ع) باعتبار أنهما الإمامان اللذان يتحملان مسؤولية الإسلام. ولذلك، فإنّهما يتحمّلان، ـ من موقعهما ـ، مسؤولية هذه الوصية الإسلامية، حتى أن إسلامية هذه الوصية تمتدّ إلى الشأن الخاص بعلي (ع) كما سيظهر فيما سيأتي في فقراتها.

والوصيّة بالتقوى هي وصيّة الأنبياء، ووصيّة الله سبحانه في كتابه. قال تعالى: (وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى، واتّقونِ يا أولي الألباب)[١٢]. وعن عليّ (ع): "أوصيكم عباد الله بتقوى الله؛ فإنّها خير ما تواصى العباد به، وخير عواقب الأمور عند الله"[١٣]. وفي تفسير التقوى، ورد عن الإمام جعفر الصادق (ع)، قال: "أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك"[١٤].

* * *

وأَنْ لا تَبْغَيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا

أي لا تطلباها. ولكن، ليس معنى أن لا نطلب الدنيا أن لا نأخذ حاجاتنا مها، لأن الدنيا هي دار

مسؤوليتنا في أن نحركها على أساس ما يحبّه الله ويرضاه، وفي أن نوجهها الوجهة التي يستطيع الناس من خلالها أن يعيشوا بأمن وسلام، ويجعلوا منها جنة مصغرة على الأرض، ليكونوا فيها (إخواناً على سرر متقابلين)[15]، لا يحملون في صدورهم غلاً ولا حقداً للذين آمنوا. ولكن المسألة هي أن لا تعتبر أن السعادة كل السعادة هي أن تحصل على الدنيا، وأن الشقاء كل الشقاء هو في الحرمان منها؛ فليست الدنيا نهاية المطاف. وقد قال سبحانه، وهو يحدثنا عن قول قوم قارون له حين طلع عليهم في زينته، وهو يعطينا، من خلال ذلك، المنهج السليم في التعامل مع الدنيا وملذاتها وحاجاتها: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك)[16]؛ فالآخرة هي الغاية لكلّ ما وهبه الله للإنسان في الدنيا. والمقياس في كون العمل للآخرة هو عنوانه وعمقه وهدفه؛ فإن كان رضا الله سبحانه هو العنوان الذي يأخذ منه العمل عنوانه، وكان الهدف منه هو الحصول على الموقع المميّز والدرجة الرفيعة، في الآخرة، ممّا يلتقي مع القيم الكبيرة التي تحقّق مصلحة الإنسان في الحياة؛ إذ كان الأمر كذلك، فإنّ العمل يكون أخرويّاً حتى لو كانت صورته ماديّة دنيويّة.

أمّا إذا كان الأساس في العمل هو الاستغراق في خصوصيّات الدنيا، في شهواتها ولذائذها، وامتيازاتها وأنانيّاتها، فهو عمل دنيويّ حتى لو كانت صورته روحيّة أخرويّة، كما هو الحال في بعض أعمال الخير التي يُراد منها اكتساب غرض زائل، لا الحصول على رضا الله سبحانه، وكما في الصلاة التي تتحرّك في أجواء الرياء والحصول على مدح الناس وثنائهم.

وعندما يتحرّك الإنسان في خطّ الآخرة، فإنّه يبقى من حقّه أن يستعمل ماله في إشباع حاجاته الخاصّة،

وشهواتها الذاتيّة؛ لأنّ الطبيعة المادّية للجسد تفترض أن يحصل الإنسان له على ما يحفظ له حياته، ويحقّق له راحته.

ومن خلال هذه الآية، نقف أمام خطّ التوازن الذي أراده الإسلام أساساً في حركة الإنسان الاقتصادية، بين متطلّبات الجسد في الحصول على ما يُشبعه في الدنيا، وبين متطلّبات الروح فيما تنشده من الاستقرار في الدار الآخرة ونعيمها، في ظلّ رضا الله سبحانه وتعالى.

وقد نبّه الإمام (ع) إلى نقطة، وهي أن الدنيا عندما تقدم نفسها للإنسان فإنها لا تفعل ذلك محبةً به، بل إن المسألة هي مسألة اختبار، وهذا ما ركّزه الله تعالى في كتابه العزيز عندما قال: (ليبلوني أأشكر أم أكفر)[١٧] . وقوله عزّ وجلّ: (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن* وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن* كلا...)[١٨] فهذا مفهوم خاطئ؛ لأنّ المال لا يمثّل قيمة كبرى عند الله سبحانه كما هي قيمته عند الناس؛ لأنّ الله قد أعطى المال للكافرين، كما منع المال عن بعض أوليائه، واعتبر أنّ الأساس هو حركة الإنسان في الجانب العملي، في مسؤوليّته الشرعية الإيمانيّة عن تحريك المال في موارده التي يحبّها الله سبحانه؛ لأنّ قرب الإنسان وبُعده عن الله سبحانه لا يتحدّد بحجمه المالي، بل بحجمه العملي، وذلك قوله تعالى: (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)[١٩] .

فليس عطاء الله كرامة، ولا ابتلاؤه وتضييقه إهانة، بل إن المسألة تتحرك في خط الحكمة في واقع المسؤولية.

* * *

وَلا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا

إن طبيعة الدنيا تقتضي أن هناك أسباباً للربح وأسباباً للخسارة، وقد قال علي (ع) ــ في مجال آخر ــ: "الزهد كله بين كلمتين من القرآن. قال الله سبحانه:

(لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)[20]. ومن لم يأسَ على الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه"[21]. فالربح دائماً ينشأ من خلال الظروف الموضوعية التي توجبه، وكذلك الخسارة.

وقد نشبّه هذه الفكرة والحقيقة القرآنية، بالليل والنهار والنور والظلام، والإنسان بطبعه يتضايق من الظلام ويرتاح إلى النور، فهل نقيم حفلة تأبينية عندما يأتي الليل؟!. وهل نقيم مهرجاناً عندما يأتي النهار؟! إن الأمر طبيعي جداً، فعندما تطل الشمس على أفقنا يطلع النهار، وعندما تغيب يأتي الليل.

ولذلك، فعندما تأتيك الخسارة فعليك أن لا تسقط، بل أن تدرس الأسباب حتى تتفاداها في المستقبل، وعندما يأتيك الربح أن لا تبطر، ولكن أن تدرس الظروف التي أدّت إليه، لكي تستزيد منها في المستقبل.

وفي كتابه إلى ابن عبّاس، يقول الإمام عليّ (ع): "أمّا بعد، فإنّ المرء ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليَفوته، ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليُصيبَه، فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شفاء غيظ، ولكن إطفاء باطل وإحياء حقّ، وليكن سرورُك بما قدّمت، وأسفك على ما خلّفت، وهمّك فيما بعد الموت!"[22].

* * *

وَقُولا بِالحَقّ

ليكن قولكما الحق في كل المجالات، في العقيدة والشريعة، وفي العلاقات الشخصية، وفي السياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والأمن، وكل ما يتحرك به الإنسان في الحياة؛ لأن الله تعالى خلق السماوات والأرضين بالحق، ويريد للإنسان أن يحرك واقع الحياة من خلال الحقّ الذي ينتجه في إرادته، وهذا هو الذي يؤكّد للعلاقات العامّة، في السلوك الإنسانيّ، الاستقرار، على أساس ما يمثّله الحق من الثبات في التعامل مع الآخرين، بما يملكونه من حقوقهم، وبما يؤمنون به من القيم الروحيّة الإنسانيّة

الثابتة في وجدان المؤمن، والخطوط الأخلاقيّة المنفتحة على إنسانيّة الإنسان، والمبادئ الإسلامية التي تركز الأوضاع في تنوّعاتها العامة على قاعدة ثابتة.

* * *

واعْمَلا لِلأَجْرِ

عملك هو مظهر طاقتك، وقد تتنوع طاقتك في عطاءاتها ووظائفها، فهناك طاقة العقل، وطاقة القلب، وطاقة اللسان والعينين وسائر الأعضاء. وهنا يريد الإمام (ع) أن يركّز فكرةً وهي أن الله تعالى قد جعل لكل جهد أجراً، وعلى الإنسان أن يحسب أجره عند الله على كل عمل ليعمله.

ولهذه المسألة قيمة تربوية، وهي أن يشعر الإنسان دائماً بارتباطه بالله عز وجل في كل عمل يعمله، وبعمق الصلة معه في كل حركة يتحركها، تماماً، كما يشعر الإنسان بأن فلاناً من الناس هو مصدر رزقه لأنه يعمل عنده ويعطيه الأجر، فيظل مشدوداً إليه. أو كمن يعمل في شركة أو مؤسسة ويتطلع دائماً ليستزيد من العمل النافع، ويدرس اللحظات التي يضيعها دونما استغلال بما قد يفيده في أجره عند رب العمل، وما إلى ذلك. لهذا فلا بد لنا أن نعمل للأجر عند الله حتى نستطيع أن نؤمن ولو غرفة نسكنها في الجنة، ولا نكتفي بأن نكد ونسعى في سبيل أن نحصل على شقة نسكنها في الدنيا.

ولكنّ المشكلة أنّ بعض الناس قد يُدعى إلى صلاة الجماعة –مثلاً– وصلاة الجماعة –كما ورد في الحديث– إذا زاد عددها على العشرة فلا يحصي أجرها إلا الله. وعندما يحدّثه أحد عن أهمّية صلاة الجماعة، يتلكّأ وكأنّ مشاغل الدنيا فوق رأسه، وهو مشغولٌ باللعب والسهر وما إلى ذلك. وعندما تُقام صلاة الجمعة، التي ورد في فضلها الثواب العظيم: ففي الرواية عن الإمام جعفر الصادق (ع) عن أبيه، عن جدّه، قال: جاء أعرابيّ إلى النبيّ (ص) يُقال له: قُليب، فقال له: يا رسول الله،

إنّي تهيّأت إلى الحجّ كذا وكذا مرّة فما قُدِّر لي، فقال لي: يا قليب، عليك بالجُمُعة فإنّها حجّ المساكين"[23].
وفي رواية أخرى أنّ نفراً من اليهود جاؤوا إلى رسول الله (ص)، فسألوه عن سبع خصال، فقال: أمّا يوم الجمعة فيومٌ يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين. فما من مؤمن مشى فيه إلى الجمعة إلا خفّف الله عنه أهوال يوم القيامة، ثمّ يُؤمر به إلى الجنّة"[24]. وعن رسول الله (ص) قال: "من أتى الجمعة إيماناً واحتساباً استأنف العمل"[25]، كنايةً عن خروجه من ذنوبه السابقة. وقبل ذلك قول الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)[26]. وبالرغم من كلّ ذلك يبقى النقاش: هل هي واجبة أم مستحبة؟ وهل وجوبها تخييري أو تعييني؟. فلتكن غير واجبة، لكن لو قال لك أحدهم: لو صليت الجمعة لك ألف كذا من المال مثلاً، فهل يمكن لنا حينئذ أن نجد مكاناً يتسع للمصلين؟!
وعندما يرد مثلاً: "للسلام سبعون حسنة، تسع وستون للمبتدئ وواحدة للراد"[27]. لكن ـ وللأسف ـ أصبح كثير منا يخجلون من قول: "السلام عليكم". وأصبح أهل الجنة قد لا يستهوي الكثيرين حيث يقول تعالى: (تحيتهم يوم يلقونه سلام)[28]. وصارت التحيّة "صباح الخير"، أو "مرحباً"، أو قد يأتي بكلمات أجنبية في هذا المجال باعتباره رمز الحضارة والتمدن، وليست لدينا عقدة من أيّ تحيّة إنسانيّة، لكن، عندما تكون هناك تحيّة تنبع من حركيّة إيماننا فينبغي أن نعيشها في علاقاتنا ويوميّاتنا، باعتبارها جزءاً من حركة التزامنا وإيماننا في كلّ يوم.

إنّ العمل للأجر يجعل الإنسان مشدوداً إلى الآخرة بعمله في الدنيا، باعتبار روحيّته المفتوحة على الله، المتحرّكة في سبيل الحصول على رضاه، بحيث تتحوّل دنياه إلى آخرة، وتتحوّل ماديّة العمل، في عناصره المادية، إلى عناصر روحيّة تختزن القرب إلى الله في داخلها والحصول على ثوابه والتخفّف من عقابه. ولعلّ قوله تعالى: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) يوحي بذلك.

وربّما كان من أسرار هذه الفقرة من الوصيّة، أنّ ذلك يبعده عن الغفلة عن الله، من خلال استغراقه بعمله في الدنيا؛ لأنّه يتطلّع، في كلّ خلفيّاته وأوضاعه، إلى علاقته بالله، وطمعه في الأجر من جوده وكرمه.

ولذلك نجد الإمام عليّ (ع) يركز في هذه الفقرة من وصيته على أن علينا أن نفتّش عن أجر الله تعالى في كل ما نعمله ونقوم به، والتجارة مع الله من أربح التجارات، والله يقول: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)[٢٩].

* * *

وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً

هذا هو الخط الذي ينبغي أن يحكم كل حركة الإنسان، سواء على الصعيد السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، على الصعيد العام أو على الصعيد الخاص.

ليس هناك فرق بين ظالم صغير وظالم كبير، ولا في أن يكون الظالم ظالماً في السياسة، أو في الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية، أو أن يكون ظالماً على مستوى حزب أو حركة أو منظمة، أو لعائلته أو لزوجته أو لأولاده أو لجيرانه أو لمحلته.

والخط الإسلامي في ذلك هو أن يكون الإنسان في موقف الرفض للظلم كله، والظالم كله.. وقد قال الله تعالى: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار)[٣٠]. نعم قد تفرض عليك ظروفك أن تتعامل مع الظالم، لكن أن تؤيده، أو تنصره، أو تقاتل من أجله، أو أن تدخل في عصبيات مع الناس وتحقد عليهم لحسابه، فهذا مما لا مجال فيه في الخط الإسلامي في حركة التعامل والعلاقات بين الناس.

لا بد للإنسان أن لا يكون حيادياً بين الظالم والمظلوم؛ فالله يريد من الانسان الموقف الإيجابي، الرافض للظالم بمقدار ما يملك من وسائل الرفض، سواء كان ذلك من خلال العمل، بأن نمنع الظالم من أن يظلم، أو من

خلال الكلمة، بأن ننكر على الظالم ظلمه، أو من خلال القلب بأن نقاطع الظالم، أو نظهر، من خلال نظرتنا إليه، أو تعاملنا منه، عدم رضانا بذلك، وقد ورد في الحديث الشريف: "من رأى منكم منكراً فلينكر بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه[٣١]، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنّه لذلك كاره".

وفي المقابل لا بد أن نساعد المظلوم، سواء كان المظلوم شخصاً، أو جماعة، أو شعباً، أو أمة، بالفعل والقول، أو بالمشاركة النفسية والمعنوية، وقد ورد في دعاء الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع): "اللهم إني أعتذر إليك من مظلوم ظُلم بحضرتي فلم أنصره"[٣٢]، حيث قد يرى المرء إنساناً يضرب إنساناً بغير حق، وهو قادر على ردعه، ولكنه يختار السلامة من ذلك؛ وقد تحدث الإمام علي أمير المؤمنين (ع) عن بعض الناس الذين شاهدوا ظلامته في حقه، ووقفوا على الحياد، أو كانوا مع الظالمين له، وكذلك الذين اعتزلوا الحرب بينه وبين معاوية الذي كان ظالماً لعلي (ع) في حربه؛ لأن علياً هو الذي يمثل الشرعية الاسلامية، قال (ع) "خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل"[٣٣]. فصحيح أنهم لم يدخلوا مع الباطل في الحرب ضد الحق، ولكنهم في الوقت ذاته لم ينصروا الحق ضد الباطل، ولذا كانوا قوة للباطل بشكل سلبي، ومنعوا الحق من قوتهم، وبذلك فهم يقوّون فرص الظالم في الانتصار على المظلوم.

وهناك نقطة تتعلق بكل الذين يتحزّبون للظالمين، ويساعدونهم، ويؤيّدونهم، ويعطونهم أصواتهم في الانتخابات، أو من خلال حضور مهرجاناتهم واحتفالاتهم، فهنا يصبح الظالمون أقوياء.

بكل ذلك، لأن الظالمين أياً كانوا، هم كلٌّ واحد منهم هو في نفسه فرد، يملك قوة عادية كبقية الناس، ولكن قوته تتضاعف بتأييدك وتأييدي وتأييد الآخرين له. ومعنى ذلك أنه إنّما صار ظالماً بقوّة الآخرين الذين أعانوه، ولذلك، فكل من قوّاه يعتبر شريكاً له في قوته، وشريكاً له في ظلمه، فالظالمون يظلمون الناس

بأصوات الناس ومساعدتهم لهم. وقد ورد أن بني أمية لم يكونوا ليقدروا على غصب حقّ أهل البيت (ع) لولا أنّهم وجدوا من يعاونهم ويساعدهم: فبنو أمية عشيرة كبقية العشائر. وإنما ملكت القوة: بحيث قدرت على اضطهاد أهل البيت (ع). أو قتل الحسين (ع). من خلال الذين أيّدوهما وساروا معهما.

وقد ورد في أحاديث أهل البيت (ع) عن الذي يعذر الظالم في ظلمه. عندما يسمع بأن فلاناً قتل فلاناً. أو سرقه. أو شوّه صورته. فقال —مثلاً-: "له الحق في ذلك: فهو يدافع عن منصبه أو زعامته": "من عذر ظالماً بظلمه. سلط الله عليه من يظلمه. فإن دعا لم يستجب له. ولم يأجره على ظلامته"[٣٤]. وعن علي (ع): "الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم. وعلى الداخل إثمان: إثم الرضا وإثم العمل"[٣٥].

ومن خلال هذا الموقف المبدئي. نقف موقفاً سلبياً مناهضاً للإستكبار العالمي: لأنه يظلم الشعوب في سياستها واقتصادها وأمنها. أو ضد الاستكبار الصهيوني. ونجد أنه لا شرعية لـ (إسرائيل): لأنها ظلمت الشعب الفلسطيني عندما أخرجته من أرضه. وظلمت الشعوب الأخرى المجاورة لفلسطين من خلال عدوانها وجرائمها. وهكذا. فنحن نقف ضد كل ظالم. في أي موقع من المواقع. على أساس هذه الوصية التي تمثل الخط الإسلامي في مدى الزمن وعلى كل المستويات وفي كل المجالات.

* * *

أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وُلْدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ

التقوى وصية الأنبياء. وتقوى الله تتمثّل في أن تطيع الله فيما أمرك به فتفعله. وفيما نهاك عنه فتتركه. وقد نلاحظ هنا أن الإمام (ع) ربط بين نظم الامر وبين التقوى. كدلالة على أن نظم الأمر من تقوى الله

سبحانه: لأنه مما يحبه الله ويرضاه ويأمر به. ونظم الأمر إنّما هو لأجل أن يحكم التوازن والتنظيم المجتمعات: بحيث يتحرّك المجتمع كله في نظام عام يحفظ حقوق الناس، سواء كانت حقوقاً خاصة أو عامة. وبذلك يعيش المسلمون، وغيرهم، في مجتمع منظم، يعرف فيه كل واحد منهم ما هي مسؤوليته ووظيفته، فلا يتعدّى أحد على دور الآخر أو وظيفته.

ولذلك كان حفظ النظام للناس عنواناً قانونياً شرعيّاً يفرض على الناس الالتزام به، في علاقة كلّ فرد به، بما يملك من الطاقات المرتبطة بالواقع العام، في تحقيق التوازن الشامل، ويكون ذلك طاعةً لله إذا قصد به وجه الله، بينما يمثّل العمل على اختلال النظام خطيئة شرعيّة، كما يترتّب على هذا العنوان، سلباً أو إيجاباً، أكثر من حُكم شرعي إلزامي، على مستوى الوجوب، أو التحريم، حسب طبيعة العمل الخاص أو العام؛ لأنّه ينفتح على حكم عقليّ يرتبط بالفطرة الإنسانيّة، ويلازم المصلحة والمفسدة التي تنفتح على الأحكام الشرعية.

وفي هذا المجال قد نجد أن كثيراً من الناس لا يراعون بعض الأمر المتّصلة بنظام حياتهم، بفعل الذهنيّة التربوية التي تبيح للإنسان التصرّف ببعض المرافق العامّة، وخصوصاً الخدمية منها، بحجّة أنّها عائدة للدولة الجائرة، ـ كما هو المصطلح ـ، وهي الدولة التي تفتر إلى أساس لشرعيّتها، ممّا قد يُدرجه البعض تحت عنوان "مجهول المالك"، بناءً على النظرة الفقهية التي تعتبر أنّ الجهة، ـ ومنها الدولة ـ، لا تملك الأهلية للتملّك كما هو شأن الأفراد. ولكنّنا نرى خلاف ذلك، ونتبنّى ـ فقهيّاً ـ الرأي القائل بأنّ الدولة تملك، كما الشخص يملك، ولا يجوز التصرّف بأموالها، التي هي بالنتيجة لأجل الناس. كما أنّه حتّى لو تنزّلنا وقلنا بعدم أهلية الدولة للملك، وأنّ أموالها تندرج في عنوان "مجهول المالك"، فإنّ هذا لا يبيح التصرّف لكلّ أحد: إذ إنّ التصرّف بمجهول المالك لا بدّ فيه من الرجوع إلى الحاكم الشرعي الأمين على المصالح العامّة، وهو لا يبيح التصرّف بالنحو الذي يستسيغه بعض الناس.

وفيما يلي بعض النماذج التي نعايشها في واقعنا، مما اعتاد الناس فيها على نوع من التصرّف لا ينسجم مع حكم الله تعالى في ذلك.

١ـ حفظ البيئة:

فمن البين الأمورِ الأساسية في الواقع الاجتماعي النظامي للناس مثلاً، هو حفظ البيئة الصحية العامة، بأن تحول دون ممارسة أي فعل يمكن أن يسيء إلى صحة الناس العامة، كرمي النفايات المكشوفة، التي تؤدي إلى كثير من الأمراض، وهذا أمر يتحمل الإنسان الذي يشارك فيه مسؤولية كل الأمراض التي تفتك بالمجتمع من جرّائه. وهذا يفرض على المجتمع كله أن يتعاون أفراده فيما بينهم. وفي الوقت الذي أنشأ المجتمع لنفسه تنظيمات متنوّعة من أجل تحقيق الخدمة العامّة في ذلك، كما هو الأمر في البلديّات، فإنّه يجب على الجهات التي تدير هذه المرافق من أن تخطط وتعمل لبيئة نظيفة صحية من حيث المقوّمات والوسائل التي تساعد الناس على حفظ واقعهم في ذلك؛ ولكن، إذا لم تكن الظروف الصحية لمثل هذه الأمور مهيأة على الشكل الصحيح، فلا بد أن يتحمّل أهل كل محلّة أو منطقة مسؤوليتهم في أن يؤمّنوا الشروط الصحية الملائمة؛ لأنّ الضرر سيعود بالتالي على الجميع، لا على الذين يمارسونه فحسب.

وممّا نلاحظه في هذا المجال أيضاً بعض العادات المتخلّفة، التي يقوم من خلالها بعض الناس بإحراق الدواليب، عند أية مشكلة سياسية أو غير سياسية تقع في البلد، وهذا الأمر محرم شرعاً؛ لأنه يسيء إلى بيئة الناس من خلال نتائجه السلبية على الواقع العام.

٢ـ حفظ المرافق العامة

ومن الأمور التي تتعلقٍ بالنظام العام مسألة الطرقات؛ فليست الطرقات ملكاً لشخص معين، وكذلك، فإن الأرصفة موضوعة لمرور المشاة حذراً من السيارات، ولذلك فلا يجوز لأحد أن يتعدّى على الطرق أو الأرصفة، من أجل توسيع دكانه، مثلاً، أو غير ذلك؛ لأنه غصبٌ

للناس كلهم. وعلى الذي يضطر أن يحفر الشارع مثلاً أن يصلحه هو، لا أن يتركه للبلدية؛ لأنّه هو الذي قام بإتلافه وتخريبه، و"من أتلف مال غيره فهو له ضامن".

كذلك، موضوع كتابة الشعارات، السياسية وغيرها، أو لصق الصور، أو الإعلانات، على الجدران. فالجدران ملك أصحاب البيوت؛ إذ كما يملكون الداخل فهم يملكون الخارج أيضاً، وهذا أمر غير جائز، إلا بإذن أصحابها، إذ لا فرق بين الاعتداء على جدار البيت في داخله أو في خارجه. وإذا أراد الناس أن يكتبوا شعارات، أو يضعوا إعلانات فيمكن لكل محلّة أن تضع لوحة إعلانات يلصق عليها الناس ما يشاؤون، وبذلك يحفظون المظهر العام لمحلتهم، ويمارسون إعلاناتهم بشكل حضاري أيضاً.

٣ـ مراعاة الأنظمة العامة:

وعلى هذا الصعيد أيضاً ما يتعلق بنظام السير، فيجب شرعاً المحافظة على نظام السير؛ لأن فيه حفظ الأنفس والأموال.

قد يتذرع البعض بأن هناك حكومات ظالمة، فلا يعتبر أن ثمة مشكلة في أن يأخذ حرّيته في خرق القوانين؛ ولكن هذا غير صحيح؛ لأن خرق القوانين يتعبنا نحن، لا الحكومة. ثم إن هذه المصالح هي مصالح الناس؛ فالطريق ليسير عليه الناس، والأرصفة كذلك، ونظام السير لمنع الخطر في حركة السيارات والمارة، وقوانين البناء إنما شرعت من أجل المظهر العام، والواقع الصحي للمناطق. ففي المناطق التي أخذ فيها أصحاب العقارات حرّيتهم في البناء، خصوصاً في غياب سلطة الدولة، لا نجد مكاناً لحديقة يمكن أن يتنزه فيها الناس، أو أن يلعب فيها أطفالهم. كما أنّ ذلك يزيد في التلوّث من خلال انعدام وسائل التنقية الطبيعية، التي هي النباتات. وفي مجال آخر نجد في مجتمعاتنا أنّه إذا حصلت مناسبة للعزاء، فإنّ أهله يرفعون صوت القرآن على مكبّرات الصوت من الصباح إلى المساء، لا من أجل أن يسمع الناس كلام الله، بل للإعلان بأن هناك عزاء لدى أهل هذه الدار أو تلك. هذا الأمر محرّم شرعاً؛ لأنّ فيه إزعاجاً

للناس. وقد يكون هناك مرضى، أو متعبون يريدون أن يرتاحوا من عناء العمل. أو يريد بعضهم أن يقرأ، وما إلى ذلك. وإذا كان من حقك أن تستعمل هذه الأدوات، فذلك بأن لا تسيء إلى الآخرين في هذا المجال. ولذلك، فكل من يرفع صوت الراديو أو المسجل أو التلفاز، حتى في قراءة القرآن، مما يؤدي به الإضرار بالناس، فهو يرتكب محرماً شرعياً، وليس الأمر مجرد لياقات اجتماعية.

٤ـ الموازنة بين الحاجات والإنتاج:

ومن جهة أخرى تتعلّق بعمليّة تنظيم المجتمع نفسه، فإنّه لا بدّ من دراسة كل حاجات المجتمع، على مختلف الأصعدة، للعمل على تلبية تلك الاحتياجات بأجمعها. وللمجتمع حاجات على المستوى التربوي، أو الاقتصادي، أو الثقافي، أو ما إلى ذلك. وذلك هو الذي يحقق للمجتمع توازنه وتماسكه. كما لا بد من دراسة كل الطاقات الموجودة لدى أبناء ذلك المجتمع، والعمل على توجيه كل طاقة إلى المجال المناسب لها، وبذلك تتكامل الطاقات لتنتج وتبدع في كل مجالات المجتمع. ومن الأخطاء التي يقع فيها المجتمع، أنه عندما يبدأ إنسان في عملٍ ما ويظهر نجاحه في ذلك، فالآخرون يختارون نفس المجال ليبدأوا العمل فيه، مما قد يؤثّر على مستوى تحقيق المكاسب لدى الجميع، أو يؤدّي إلى الرتابة في الحياة الاقتصاديّة، بينما قد يكفل توزيع الأدوار حصول كلّ منهم على ما يقوّي به عمله، ويحقّق المكاسب بشكل أفضل، له وللمجتمع.

وعندما تتنوع المشاريع ذات الطابع الواحد، فلا بد من التنسيق فيما بينها، حتى لا تحصل تعقيداتٌ تجعل الوظيفة الاجتماعية الكلية لهذه المؤسسات أو المشاريع تفقد حيوتها في المجتمع، وبذلك يفقد المجتمع عناصر القوة في أكثر من جانب. إذا كان كلٌّ منّا يريد أن يأخذ دور الآخر، أو أن يلغيه، فإن الجميع سيسقطون أمام هذه الحالات المعقدة.

فما دام الهدف هو سلام المجتمع وسد حاجاته، بعيداً عن أية ذاتية شخصية، أو حزبية، أو غيرهما، فعلينا أن

نتكامل في العمل على أساس الإخلاص لله عز وجل، في سبيل الله؛ فلا يعتبر كل واحد أنه وحده يملك العمل، فلكل طاقة، وإمكانات، ومساحة معينة في العمل، سواء على مستوى العلماء، أو المبلغين، أو المثقفين، أو أصحاب المهن، أو رجال الأعمال، وما إلى ذلك.

لهذا، أن تكون حضارياً، ليس معناه أن تأخذ بأسباب التكنولوجيا ونحوها، ولكن أن تمارس حياتك بما يحفظ للآخرين حياتهم، في العمق، وفي المظهر العام أيضاً. وكلما كان العمل وفق هذه الأمور، كلما كانت نتائجه أفضل على مختلف الأصعدة والمجالات.

يبقى أنّ مشكلة مجتمعاتنا، أن بعض الناس لا يعرف مساحة دوره، وحجم دوره، فيحاول أن يتعدى على أدوار الآخرين بما لا يملك طاقته، ولا يملك إمكاناته. وقد يصل الأمر بالبعض منّا إلى أن يعمل على إلغاء أدوار الآخرين، وشلّ طاقاتهم من أن تتفجّر في المجتمع. وهو بذلك يفوّت على المجتمع فرص الاستفادة من بعض الطاقات الكامنة فيه، بما لا يمكنه سدّ فراغه. وبذلك تُفتح الساحة أمام استغلال الكثيرين الذين يتحيّنون الفرص ليملأوا من خلالها الفراغ بما قد يسيء إلى قيم المجتمع، وأهدافه، بل إلى قيم ذلك البعض وأهدافه. ويشلّ حركة المجتمع في سبيل الرقيّ والتطوّر.

إنّ على الإنسان الذي يعيش في المجتمع أن لا يستغرق في ذاته، ليعتبرها نهاية المطاف، بل لا بدّ أن يتحرّك في إطار التكامل مع الآخرين، كلّ بحسب طاقاته ومجالات إبداعه، وذلك هو الذي يكفل للمجتمع سلامته وازدهاره وقوّته وتماسكه.

وما قد ذكرناه لا يعدو أن يكون أمثلة بسيطة على ما يقع فيه المجتمع من أخطاء، ومحاولة اكتشاف الحلول المناسبة، حتى نستطيع أن نكوّن مجتمعاً منظماً يعيش الحيوية في أداء وظائفه بالشكل السليم البعيد عن الفوضى والعبثية، ويرتكز على احترام الآخر وحفظ الحياة العامّة.

* * *

وَصَلاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ.

صلاح ذات البين عنوان من العناوين التي أكدها الله سبحانه وتعالى في كتابه، والنبي في سنّته، وعلي (ع) في هذا الخط الإمامي المنفتح على كتاب الله وسنة نبيّه، والتي يريدها أن تؤكّدُ في حركة الناس أمام الخلافات والنزاعات التي تحصل فيما بينهم.

ولعلّ التأكيد على ذلك يقوم على واقعية الإسلام في نظرته إلى المجتمع، وإلى الأهداف التي يريد تحقيقها؛ إذ ان الخلافات كثيرة في المجتمع كثيرة: فهناك خلافات زوجية، وعائلية، أو بين الجيران، أو أرباب العمل والعمال، أو بين العمال أنفسهم، أو بين القوى السياسية، أو الاقتصادية، أو العسكرية، أو الثقافية، أو ما إلى ذلك. وقد أراد الإسلام من الفئات الاجتماعية المؤمنة أن تقوم بالمبادرة، بحسب ما تملك من الطاقات، في سبيل إصلاح ذات البين، بالمستوى الذي إذا لم تُحل معه المشكلة، فلا أقلّ من تخفيفها، والحدّ من آثارها في حركة المجتمع.

ففي الخلافات الزوجية، نجد أن الله تعالى قد وضع برنامجاً لحل المشاكل التي يمكن أن تقع بين الزوجين، بحيث لا يؤول الأمر مباشرة إلى الطلاق، فقال في كتابه العزيز: (وإن خفتم شقاق بينهما)[٣٦]، أي الخلاف بينهما، (فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما) . أي إنه عندما تحصل خلافات زوجية، فلا بد أن تقوم مبادرة من طرف أهل الزوجة وأهل الزوج، فيشكّلون ما يشبه مجلس التحكيم العائلي، الذي يدرس كل الظروف المحيطة بالمشكلة، في سبيل الوصول إلى ما قد يؤدي إلى الإصلاح بينهما.

وعلى الصعيد العام، نلاحظ قوله تعالى: (إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم)[٣٧]، وقوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)[٣٨]

لنلاحظ أن الله لا يريدنا أن نكون حياديين في مثل هذا الموقف، كما هو حال بعض الناس الذين لا يشعرون بالمسؤولية الاجتماعية، والذين يقولون -على طريقة المثل اللبناني الشائع-: "فخّار يكسّر بعضو". بل أن نملك زمام المبادرة في سبيل منع أي نقطة ضعف يمكن أن تنشأ في المجتمع الإسلامي، بسبب الخلافات التي قد تنشأ بين المؤمنين، لأن أي خلاف ينشب في المجتمع، سوف يؤدي إلى الكثير من التأثيرات السلبية، التي قد تدخل عليك وأنت في بيتك، حتّى لو كنت حيادياً أمام ما يجري من أحداث، وما يُتّخذ من مواقف؛ فإن المشاكل الاجتماعية كالنار، تزيدها الرياح العاصفة اشتعالاً، فتحرق الأخضر واليابس. ولذلك فإنه لن يستطيع أحد ـ من ناحية السلامة الواقعيّة ـ، سواء في القضايا الاجتماعية، أو السياسية، أو الاقتصادية أو ما إلى ذلك، أن يكون حيادياً؛ لأن نتائج المشكلة لا تقتصر على أصحابها. وذلك يعود إلى تشابك علاقات الناس ومصالحهم، ممّا يجعل الخلافات تتعدّى الدائرة التي نتجت فيها إلى دوائر أخرى تتّصل بها، أو تتحرّك بما يُشبه العدوى، أو التفاعل اللاشعوري بحكم الترابطات النفسية والشعورية بين أفراد المجتمع، خصوصاً بعد تطوّر وسائل الاتصال الحديثة، التي جعلت العالم أشبه بالقرية الصغيرة يؤثّر ما يحدث في الشرق على الغرب، وبالعكس. والله سبحانه وتعالى يقول: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)[٣٩].

وعلى هذا الأساس كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو الطابع الحركي للمجتمع الإسلامي، في ما يدفع إليه من تحمّل مسؤولية الآخرين فيما ينحرفون به، حتى في المجالات البعيدة عن واقع الآمرين والناهين أنفسهم؛ لأنّ المشكلة تمتدّ إلى بقيّة قطاعات المجتمع بطريقة وبأخرى، ولا تقتصر على المنحرفين أنفسهم. ولذا ورد في الحديث: "لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُنّ عن المنكر، أو ليُبسلّطنَّ الله شراركم على خياركم، فيدعو خياركم، فلا يُستجاب لهم"[٤٠]؛ لأنّ الواقع ينغلق عندئذٍ عن أيّ عملية إصلاح.

وفي جانب آخر يوجّه الله سبحانه وتعالى الناس

إلى الإصلاح. ويجعل قيمة كثير من الأمور بمقدار ما يكون الإصلاح داخلاً في مضمونها. فيقول في كتابه: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بمعروف أو صدقة أو إصلاح بين الناس) . حيث تؤكّد الآية الكريمة على أنّه لا خيرٍ في ما يعقده الناس من الأحاديث السرّية؛ لأنّها غالباً ما تلتقي على أسس العصبيّة. أو الأفكار الشرّيرة التي يخشى أصحابها من اطّلاع الناس عليها. وأمّا الذين يفكّرون بالخير. فإنّهم لا يخافون من تحمّل مسؤوليّته. ولا يحاذرون من الإعلان عنه أمام الناس. إلا في بعض الحالات التي يحتاج فيها الإنسان إلى الإسرار. حذراً من أعداء الأمّة الذين يريدون تعطيل فرص الصلاح والإصلاح بين الناس. وقد استثنت الآية المباركة من ذلك ـ إلى جانب الصدقة والمعروف ـ حالات الإصلاح بين الناس. حيث قد تمسّ الحاجة إلى التحرّك نحوه في نطاق المفاوضات السرّية المعقّدة. والمشاورات الخاصة الخفية. من أجل أن تتجمّع كلّ خيوط الخطّة في يد القائمين بالإصلاح. حذراً من أن يمسكها. أو يمسك بعضها. الأشخاص الذين يعيشون عقدةً ذاتيّة ضدّ الإصلاح. أو ينطلقون في ذلك بفعل أطماع خاصّة أو عامّة. وفي الحديث: "صدقة يحبها الله: إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا. وتقارب بينهم إذا تباعدوا""(٤٠).

وفي هذه الوصية ينقل الإمام علي (ع) عن رسول الله (ص). وهو الصادق الأمين الذي ينقل عن الصادق الأمين قوله: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام". أي إنه إذا دار الأمر بين أن تصوم مستحباً. أو تصلي مستحباً. وبين أن تصلح بين شخصين. أو جماعتين. أو فريقين. فالإصلاح هنا أفضل من صلاتك أو صيامك المستحبين. بل وأكثر من ذلك؛ فنحن نجد أن الإسلام أحلّ الكذب في سبيل الإصلاح. إلى الحد الذي قد يصير فيه الكذب واجباً. كما إذا كان الأمر يؤدي إلى سفك بدماء. وهتك الأعراض. ونحو ذلك. وقد ورد في الحديث: "الكلام ثلاثة: صدق. وكذب. وإصلاح بين الناس؛ تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه. فتلقاه. فتقول: سمعت من فلانٍ قال فيك من الخير كذا وكذا. خلاف ما سمعت

منه"[٤٣]. وكأن الإصلاح قسم ثالث، خارج عن الكذب. وقد ورد أيضاً: "المصلح ليس بكاذب"[٤٤].

على أنّنا قد نحتاج، أمام تطوّر التعقيدات في عالم العلاقات، ونشوب الخلافات بين الناس على أكثر من مستوى، وفي أكثر من مجال، إلى إنشاء هيئات اجتماعية، وظيفتها الإصلاح بين الناس، بدلاً من أن نركب ركوب الفتنة، والتفريق بين الناس، كما يفعل الكثيرون منا في ممارساتهم الاجتماعية.

وفي الجانب الآخر، نجد الناس الذين لا يرتاحون إذا رأوا الناس يعيشون في سعادة وخير، ومحبة وسلام، قلوبهم مليئة بالعقد النفسية، والحقد، والبغضاء. وقد يورثون هذه الأخلاق لأولادهم. ولذلك تجدهم يتنقلون من منزل إلى آخر، ليفرقوا بين المرء وزوجه، أو بين الأخ وأخيه، أو ما إلى ذلك من الذين يعيشون في جوّ من السكينة والطمأنينة والسلام، وهذه هي النميمة. ومثل هؤلاء لا يعيشون روحية الجنة، لأن الله يقول عن أهل الجنة: (إخواناً على سرر متقابلين)[٤٥]. وفي حديث آخر: (ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة المتلمسون للبرءاء العيب"[٤٦].

* * *

اللَّهَ اللَّهَ فِي الأَيْتامِ، فَلا تُغِبّوا أَفْواهَهُم وَلا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُم

"الله الله" كلمة تُطلق على نحو الاستغاثة، للتدليل على عظيم الأمر، وللحثّ على مزيد الاهتمام. أمّا قوله (ع): "فلا تغبّوا أفواههم". يُقال: أغبَّ القوم، أي جاءهم يوماً وتركهم يوماً. والمقصود هنا أن لا يُطعم الأيتام يوماً ويُتركوا للجوع يوماً آخر، بل لا بدّ أن يُطعموا كلّ يوم.

والأيتام فئة خاصّة من الفئات المحرومة في المجتمع، أولاها الإسلام اهتماماً خاصّاً، نظراً للتأثيرات السلبية

التي يمكن أن تنتج من وضعها، سواء على مستوى اليتيم الفرد نفسه أو على مستوى حركة المجتمع واستقراره.

والخصوصيّة التي تكتسبها هذه الفئة ناشئة من خلال فقدان القوّة التي تمنحها التماسك والثبات؛ وذلك ما يمثّله الآباء للأبناء الصغار من معنى الرعاية والحماية والقوّة، فيما يغدقونه عليهم من حنان وعاطفة، وفيما يحيطونهم به من عناية واهتمام، فيصونونهم بذلك من كلّ عوامل الضعف والقهر المحيطة بهم.

وفي ضوء ذلك جعل الإسلام كفالة اليتيم مسؤوليّة المجتمع، وحمّل أفراده كلّ التبعات التي تترتّب على ذلك، وحذّرهم من الانسياق مع نوازع الطمع التي قد يثيرها الشعور بالأمن من العقوبة، وذلك من خلال فقدان اليتيم للقوّة التي يستطيع أن يدافع بها عن نفسه أمام حركة الأطماع، مضافاً إلى انعدام القوى البديلة التي تتولّى التعويض عن حالات الاستغلال المادّي أو المعنويّ، ونحن نعرف أنّ هذه الفئة تخضع لأشدّ أنواع الاستغلال، خصوصاً في عالم الدعارة والمجون، مما يساعد عليه عدم تحمّل المجتمع لمسؤوليّته في هذا المجال.

وقد أراد القرآن الكريم أن تكون حركة المجتمع مع اليتيم هي حركة في خطّ الإصلاح، والإصلاح هنا ينفتح على كلّ أبعاد الشخصيّة الإنسانيّة، ولا يقتصر فقط على الجانب المادّي فقط ممّا كان محطّ اهتمام أولياء الأيتام، وعليه، فلا بدّ من أن يكفل المجتمع للأيتام كلّ ما يحتاجونه في إصلاح حياتهم وأمرهم، من العلم الذي ينفتح بهم على آفاق التطوّر في الحياة، والاستقرار النفسي والاجتماعي، بما يحيطهم بمناخ من الأمن، وتنمية كلّ الطاقات والمواهب الكامنة التي تؤمّن لهم إمكانيّة الانخراط في حركة المجتمع، على المستويات كافّة، بالإضافة إلى ما يُصلح أمرهم في آخرتهم، من خلال تركيز الإيمان في نفوسهم، وبناء العلاقة المتينة مع الله سبحانه وتعالى، وبعبارة أخرى: إنّ على المجتمع أن يحلّ بديلاً عمّا كان يمكن أن يقوم به آباء الأيتام، في تدبير شؤونهم على اختلافها وتنوّعها، وهنا نجد قوله

تعالى واضحاً، إذ يقول: (ويسألونك عن اليتامى، قل إصلاح لهم خيرٌ وإن تُخالطوهم فإخوانكم). فإنّه وإن ورد في أسباب النزول أنّه "لمّا أنزل الله (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن)[٤٧] و(إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى...)[٤٨] انطلق كلّ من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه، فيجلس له حتى يأكله، أو يفسد فيرمي به، فاشتدّ ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله (ص) فأنزل الله: (ويسألونك عن اليتامى...)"[٤٩]، فإنّه لا موجب للاقتصار على موردها بعد أن كان معناها عامّاً شاملاً. وبذلك تكون هذه الحركة من المخالطة القائمة على الأخوّة أبعد عمقاً وتأثيراً في جانب الأيتام؛ لأنّ النظرة الفوقيّة الإشفاقيّة الناشئة من ضعفهم الطبيعي وحاجتهم الملحّة إليهم، قد يثقل على نفوسهم، ويهدم معنويّاتهم، ويعقّد حياتهم، ويعطّل نموّهم الطبيعي في الحياة.

* * *

وَ اللَّهَ اللَّهَ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ

الفئة الثانية التي أطلق الإمام (ع) النداء في وصيته بهم بما يشبه الإستغاثة، هم الجيران، الذين يرتبطون بالإنسان من خلال علاقة المجاورة، وهم الذين يعيشون في محلّة واحدة، وقد قدّر الجوار بأربعين داراً من كل جهة[٥٠]، وليس الذي يكون منزله ملاصقاً لمنزلك فقط.

ومن الطبيعي أن قرابة الجوار قد تكون، من ناحية خطوط التماس، أكثر حركية من علاقة القرابة النسبية، لأنك قد لا تلتقي بقريبك بالشكل الذي تلتقي وتحتكّ فيه بجارك؛ إذ قد لا تلتقي بأقربائك إلا في المناسبات، خصوصاً إذا كانوا يسكنون في مكان بعيد جغرافياً، ولكنك تلتقي بجارك صباحاً ومساءً، وتلتقي زوجتك بزوجته، وأولادك بأولاده كذلك، ثم إن كثيراً من الأمور

مشتركة فيما بين الجيران. وهي الأمور التي تتعلق بحياتك وحياتهم، مما قد تحتاج إليه المحلّة من خدمات. أو فيما قد يؤدي إليه الالتصاق المباشر في البيوت من تأثير بعضها على بعض.

لذلك، قد تكون مسألة الجوار من أكثر الأمور تعقيداً في العلاقات، بسبب ما تولّده من الاحتكاك الدائم الذي قد يؤدّي بشكل طبيعيّ إلى نشوء المشاكل بين الجيران.

لهذا أراد الاسلام أن يعمّق العلاقة بين الجار وجاره، وجعلت المسألة مسألة تتصل بالالتزام الديني، بالالتزام الذاتي، بحيث أن وصية رسول الله الدائمة، كما يعبّر أمير المؤمنين (ع) بقوله: "ما زال يوصي بهم..". أشعرت المسلمين أن الأمر قد يصل إلى درجة أن يوجب على الجار أن يورّث جاره. فقد ورد في الحديث عن رسول الله (ص): "أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً"[٥١]. وعنه (ص): "ما زال جبرئيل (ع) يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه"[٥٢]. وعنه (ص): "حرمة الجار على الإنسان كحرمة أمّه"[٥٣]. وعن الإمام جعفر الصادق (ع): إن رسول الله (ص) أتاه رجل من الأنصار فقال: إني اشتريت داراً من بني فلان، وإن أقرب جيراني مني جواراً من لا أرجو خيره ولا آمن شرّه. قال: فأمر رسول الله (ص) علياً وسلمان وأبا ذر — ونسيتُ آخر[٥٤] وأظنه المقداد - أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه. فنادوا بها ثلاثاً"[٥٥]. وعن الإمام محمّد الباقر (ع)، قال: قال رسول الله (ص): ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع"[٥٦]. وعن رسول الله (ص)، قال لأصحابه: ما آمن بالله وباليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائع. فقلنا: هلكنا يا رسول الله. فقال: "من فَضْلِ طعامكم، ومن فضل تمركم، وورقكم، وخلقكم، وخرقكم، تطفئون بها غضب الرب"[٥٧]. وعنه (ص) في حقوق الجار: إن استغاثك أغثته، وإن استقرضك أقرضته، وإن مرض عدته، وإن مات أتّبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهدِ له، فإن لم تفعل فأدخلها سرّاً،

ولا تخرج بها ولدك تغيظ بها ولده، ولا تؤذه بريح قِدْرِك إلا أن تغرف له منها"[٥٨].

هذه تعاليم، أراد الله منها أن يخفف من المشاكل، التي قد تنشأ من جراء الاحتكاك الدائم بين الجيران؛ لأن هناك من المشاكل ما لا يُحل إلا من خلال إيجاد حالة نفسية في الإنسان تتّسع الآخر. فعلى سبيل المثال نجد أن الله تعالى، نتيجة استغلال العنصر الأقوى للعنصر الأضعف في الحياة الزوجية، وهو الرجل ـ بشكل عام ـ، أعطى للمرأة دفعاً روحياً، من أجل أن يخفف من تأثير المشاكل، حتى لا تصل بسرعة إلى الطلاق والانفصال، فجعل لها أجراً إذا صبرت وتحملت كما لو كانت تجاهد في سبيل الله، فجاء في الحديث "جهاد المرأة حسن التبعّل"[٥٩]. وهكذا الأمر في موضوع الجوار؛ إذ إن الإنسان الذي يحسن جوار من جاوره، فهو أولاً يخفف من المشاكل على نفسه؛ إذ في كل يوم هناك أكثر من احتكاك بين الزوج وجاره، والزوجة وجارتها، وبين الأولاد وأولاد الجيران وما إلى ذلك، مما يجعل الحياة في البيت، أو المحلة، في بحر من المشاكل التي لا تنتهي. وليس معنى ذلك أن لا يحاول الإنسان حلّ تلك المشاكل، بل يعني أنه إذا لم يمكن حلّها، فلا بد أن يتعايش الإنسان معها، بالشكل الذي قد يوصل في النهاية إلى حلها، من خلال حسن المعاشرة، تماماً، كما يتعايش مع المرض، الذي قد يفرض عليه نوعاً معيناً من الطعام والشراب، فيقدم له تنازلات من مزاجه، أو في التجارة بأن يتعايش مع حركة السوق، حتى تتغير الظروف عاجلاً أو آجلاً، هذا أولاً.

وثانياً: إن الله سبحانه وتعالى يعطي الإنسان من رضوانه، ومحبته، وثوابه، ما يجعله تربح أرباحاً كبيرة، أكثر مما لو أخذ حقه بيده، من خلال إثارة المشاكل والشحناء.

لذلك، فإن هذه الوصية التي أطلقها الإمام علي (ع) في الجيران، هي وصية رسول الله، ووصية الله عز وجل، التي تجعل الحياة الاجتماعية أكثر هدوءاً، وأكثر استقراراً وراحة.

* * *

وَاللهَ اللهَ فِي القُرآنِ، لا يَسْبِقُكُمْ بِالعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ

هنا يركز الإمام علي (ع) كل الخطوط الحضارية، التي ترتفع بمستوى الإنسان عقلياً، وروحياً، وعاطفياً، وحركياً، وذلك من خلال تركيز القاعدة الأساسية في كيفية التعامل مع الثقل الأكبر، والقرآن، وقد قال تعالى: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)[٦٠]، (كتاب أنزلناه إليه لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)[٦١]، (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[٦٢]. فالقرآن نور تستنير به عقولنا، وتستضيء به قلوبنا، وتستقيم به حياتنا، ولذلك فلا يقتصرُ تعامُلنا مع القرآن على اللحن التجويدي، أو على عدد الختمات التي نهدي ثوابها إلى أمواتنا، ولكن، -مع ذلك-، يجب أن نتعمّق في فهم ما نقرأ.

وفي هذه الوصية، يلفت الإمام (ع) إلى نقطتين:

النقطة الأولى: أن الهدف الأساسي الذي من أجله نزل القرآن الكريم هو العمل بمضمونه، وقراءته هي مقدّمة لتفهّم معانيه، وتدبّر مقاصده. قال تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[٦٣]، (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)[٦٤]، (الذين آتيناكم الكتاب يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)[٦٥]، حيث لعل المراد — والله العالم — بتلاوة الكتاب حق تلاوته القراءة عن تدبر، وتفكير، وروحية واعية تتحرك من موقع البحث عن الحق؛ وذلك هو سبيل الانفتاح على آيات الله وما تشتمل عليه من دلائل الحق وبراهينه.

من الجيّد أن يقرأ القرآن بالصوت الحسن، وأن نستمع إلى القراء المجوّدين، ولكن هذا لا يكفي لأن القرآن كتاب عمل، ودستور حياة، وكل ذلك انما هو لتحقيق الارتباط بالقرآن، كمقدمة؛ للعمل، والفوز بكل النتائج الايجابية التي نحصل عليها من خلاله.

إننا نجد الكثيرين يزحفون للاستماع إلى القارئ الجيد، ويشعرون بسكرة النغم، ولكن كم منا يهتم بثقافة القرآن، ووعيه، وتدبره، بحيث تراه يزحف إلى أي درس من دروس التفسير الذي يغني عقله وروحه ووعيه للحياة؟!

ولذلك لا يكفي أن يدخل القرآن في آذاننا، بل لا بد أن يدخل في عقولنا، وعندما يدخل في عقولنا، لا بد أن ندخله في حياتنا، وقد قال تعالى في (فبشر عباد* الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)[16]، إذ الغاية من الاستماع هي الاتباع.

النقطة الثانية: أن القرآن الكريم قد نزل فينا، كمسلمين، ولذلك نحن معنيّون به أكثر من غيرنا، فلا يكن الآخرون، ممن لا يلتزمون القرآن، أكثر تطبيقاً منا للمبادئ التي جاء بها القرآن، بحيث أننا لو نزلنا إلى أرض الواقع، لوجدنا أن غيرنا من الأمم والشعوب تأخذ بالنظم والتعاليم التي ركزها القرآن في بعض النواحي والأوضاع، في الوقت الذي لا نزال فيه بعيدين عنه كل البعد، والقرآن كتابنا الذي نلتزم الإسلام من خلاله.

* * *

وَ اللّٰهَ اللّٰهَ فِي الصَّلاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ

هذه هي الوصية الرابعة التي يطلق فيها الإمام (ع) النداء بأسلوب الاستغاثة، دلالةً على عظيم أمر الموصى به. فالصلاة هي عمود الدين، وقد ورد في الحديث الشريف: "الصلاة عمود الدين، مثلها كمثل الفسطاط، إذا ثبت العمود ثبت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود لم يثبت وتد ولا طنب"[17]. ولعل سائلاً يسأل: لماذا كانت الصلاة عمود الدين؟

والجواب: أن الدين قام على الإيمان بالله، والعلاقة به سبحانه، وعلى الإحساس الدائم بحضور الله في حياة الإنسان؛ بحيث تتمثل الله أمامك، وليس من السهل

أن يحصل لدى الانسان، هذا الشعور والإحساس باعتبار أن الله سبحانه وتعالى غيب من الغيب، إلا من خلال العمل. ولا بد أن يكون نوع هذا العمل، بحيث يتمثل الإنسان فيه حضور ربه بشكل دائم ومتحرك، وهذا العمل هو الصلاة، التي تتميز عن بقية العبادات أن الانسان يقوم بها خمس مرات في اليوم الواحد، بخلاف باقي العبادات؛ إذ الصوم في شهرٍ في العام، والحج مرةً واحدةً في العمر إذا استطاع الإنسّان، وهكذا.

إذاً، فالصلاة دورها أن تعيش مع الإنسان في حياته يومياً، بحيث يبدأ بها صباحه، ويختم بها يومه. هذا إلى جانب الحشد الكبير من النوافل منفردةً، ومع كل صلاة. ومعنى ذلك، أن الله سبحانه وتعالى قد أحاطنا بالصلاة من كل جانب، حتى إذا نسي الإنسان ربه ونفسه، حضر وقت الصلاة ليذكّره بمقام ربه، وهكذا، في عملية استحضار دائم لله تعالى في كل وقت وأوان. فأول ما يبدأ الإنسان يومه، عندما يقوم من نومه، هو أن يقف بين يدي الله، لينوي الصلاة قربة إلى الله. ومعناه أنك تشهد الله على قلبك أنك تريد أن تكون قريباً إليه. وليس المراد من القرب إلى الله القرب المكاني، بل لكنه القرب العقلي، فلا يبتعد عقلك عن الله في فكر الباطل، لأعداء الله، والقرب الحياتي، بأن لا تمارس في حياتك ما لا يرضاه الله ولا يحبُّه، بالاضافة الى القرب الروحي الذي يحلق فيه الإنسان في آفاق الصفاء. فعملية النية - في عمقها — هي عملية عهد بينك وبين الله عز وجل فإن يكون دائماً قريباً من الله تعالى. وكذلك، فإنّك إذا أردت أن تؤذن وتقيم، فأنت تكرر إسلامك، من خلال الفقرات الواردة فيها من التكبير والشهادتين وما إلى ذلك. وعندما تدخل في الصلاة فتكبر، فتشعر أن الله تعالى هو الأكبر، وكل من عداه الأصغر، ثم تأتي سورة الفاتحة وما فيها من أصول العقائد، وما بعدها من السورة، ثم تمارس خضوعك لله من خلال الركوع، ثم السجود الذي يمثل غاية العبودية، وهكذا. فالصلاة ممارسة عملية للعقيدة، وشعور دائم بحضور الله تعالى.

ثم وأنت في غمرة عملك، وما قد تحصل عليه من الذنوب من الصباح إلى الظهر، يأتي وقت صلاة الظهر لتجدد عهدك مع الله، وتتوب إليه من كل ما عصيته به. وهكذا في العصر إذا أردت التفريق بين الظهرين. وكذلك الحال بالنسبة للمغرب والعشاء. فالله يريدنا كلما ابتعدنا عنه أن نرجع إليه، وكلما نسيناه أن نذكره. ومن صفات الصلاة أنها معراج روح المؤمن إلى الله. وقد ورد في القرآن الكريم حوار بين المؤمنين والكافرين، بين أهل الجنة وأهل النار: (كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سفر * قالوا لم نكُ من المصلين)[٦٨]. وفي سورة "المؤمنون"، نجد أن فلاح المؤمن انما هو بأن يكون لديه صفات وخصال، منها المحافظة على الصلاة. قال تعالى: (قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون)[٦٩]، ثم يقول تعالى: (الذين هم على صلواتهم يحافظون)[٧٠].

وقد ورد في الحديث عن عليّ (ع): "سمعتُ رسول الله (ص) يقول: أرجى آية في كتاب الله (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات)، وقال: يا علي، والذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً، إنّ أحدكم ليقوم إلى وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمّه، فإنّ أصابه شيء بين الصلاتين، كان له مثل ذلك، حتى عدّ الصلوات الخمس. ثمّ قال: يا علي، منزلة الصلوات لأمّتي كنهرٍ جارٍ على باب أحدكم، فما ظنّ أحدكم لو كان في جسده درن، ثمّ اغتسل في ذلك النهر خمس مرّات في اليوم، أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأمّتي"[٧١]. وعنه (ص): "أوّل ما يُنظر في عمل العبد في يوم القيامة صلاته، فإن قبلت نُظر في غيرها، وإن لم تُقبل لم يُنظر في عمله بشيء"[٧٢]. وفي وصيّة أخرى لعليّ (ع): "أوصيكم بالصلاة وحفظها، فإنّها خير العمل، وهي عمود دينكم"[٧٣].

والصلاة لا تستغرق من الإنسان وقتاً طويلاً. وبالرغم

من ذلك نجد الواحد منا يجلس ساعات أمام التلفاز، أو في أجواء اللعب واللهو، وعندما يأتي وقت الصلاة، يقوم وكأنّ الجبال على ظهره. والله سبحانه وتعالى يقول: (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين)[٧٤]، وهي وإن كانت واردة في صلاة الجمعة، حيث جاء في أسباب النزول: بينا رسول الله (ص) يخطب يوم الجمعة، إذ قدم دحية الكلبي من الشام بتجارة، وكان إذا قدم لم يبقَ في المدينة عاتق إلا أتته، وكان يقدم، إذا قدم، بكل ما يحتاج إليه الناس من دقيق وبرّ وغيره، ثمّ ضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه، فيخرج الناس فيبتاعون منه، فقدم ذات جُمُعة، وكان قبل أن يُسلم، ورسول الله (ص) يخطب على المنبر، فخرج الناس، فلم يبقَ في المسجد إلا اثنا عشر، فقال النبيّ (ص): لولا هؤلاء لسوّمت عليهم الحجارة من السماء، وأنزل الله الآية في سورة الجمعة"[٧٥]، إلا أنّها ــ من خلال إيحاءاتها وما تُشير إليه ــ شاملة لكلّ صلاة، بل لكلّ مورد يدور فيه الأمر بين الإقبال على الله سبحانه وتعالى فيما فرضه، وبين شأن من شؤون الدنيا. وحول ضرورة أن يراعي الإنسان شروط صلاته، وأن تعيش العائلة جوّ الصلاة، يقول سبحانه للنبي (ص): (وأمُر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)[٧٦]، أي اصبر على أدائها، وشروطها؛ لأنّ وعي الصلاة، والخشوع فيها، واستلهام معانيها، في أقوالها وأفعالها، يحتاج إلى صبر، فلا يسرع الإنسان في صلاته إسراع من يريد أن يفرغ منها، من دون أن يستوعب دروسها، ولا يهملها في أوقاتها ومواقعها.

والصلاة في عمق معناها، هي مظهر لشكر الله سبحانه وتعالى على كلّ ما أنعم، ومظهر للعلاقة معه تعالى. ويروى أن بعض الناس قال للنبي (ص) وهو يصلي ويجهد نفسه في العبادة: لم ترهق نفسك بالصلاة، وقد ضمن الله لك الجنة؟ وكان الجواب منه (ص): أفلا اكون عبداً شكوراً. ولذلك فإنّ التاركين للصلاة يعيشون ما يُشبه نكران الجميل مع الله عزّ وجل. وقد ورد في الدعاء الذي رواه أبو حمزة الثمالي عن الإمام زين

العابدين (ع): تتحبب الينا بالنعم، ونعارضك بالذنوب، خيرك إلينا نازل، وشرنا إليك صاعد ، ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا في كل يوم بعمل قبيح؛ فلا يمنعك ذلك من أن تحوطنا بنعمك وتتفضل علينا بالآئكَ"[٧٧].

وفي مجال آخر، إذا كان الإنسان محبّاً لأهله وأولاده وأصدقائه، وللناس من حوله، فعليه أن يأمرهم بالصلاة؛ لأنّ الصلاة هي عمود الدين الذي إذا انهدم سقط البناء كله، وهذا البناء هو الحياة كلّها والمصير كلّه. والله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)[٧٨]، حيث يحمّل الآباء والأمّهات مسؤوليّاتهم في رعاية شؤون أولادهم الدينية، بالتأكيد على تنمية المشاعر الإيمانيّة لديهم، وتركيز العقيدة الإسلامية في أفكارهم، وتحريك الالتزام الديني في واقعهم العملي، قبل أن يسبقهم الضالّون المضلّون، من الكافرين والمنحرفين والمستكبرين، بما يثيرونه من أفكار الكفر، وعاداته، وتقاليده، ليصوغوا أجيالنا صياغة كافرة قد تؤدّي إلى تعقيدهم ضدّ الإسلام فكراً وعملاً. ولعلّ التقصير في ذلك يساوي التقصير في مواجهة الحملات العسكريّة على بلاد المسلمين؛ لأنّ السيطرة على الأفكار العامّة للأمّة أكثر خطورة من السيطرة على مواقعها الجغرافيّة، باعتبار ما يستتبعه ذلك من نفوذ طوعيّ للكافرين والمستكبرين على الواقع الإسلامي من الداخل والخارج.

لذلك فالإمام علي (ع) قد أطلق الصرخة: "والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم". ويبقى علينا أن نتحمل مسؤولياتنا في ذلك.

* * *

والله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم

هذا النداء العلوي يوحي بأهمية الحج إلى بيت الله عز وجل. هذا البيت الذي كان أول بيت وضع للناس.

قال تعالى:(إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)(٧٩)... وقال تعالى في ما حكاه من خطابه لإبراهيم (ع): (وأذن في الناس بالحج يأتون رجالاً)، أي سائرين على الاقدام، (وعلى كل ضامر) أي على الإبل، (يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معدودات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام)(٨٠). وفي الرواية عن الإمام جعفر الصادق (ع)، وقد سأله هشام بن الحكم عن علّة الحجّ والطواف بالبيت؟: إنّ الله خلق الخلق... وأمرهم بما يكون من أمر الطاعة في الدين، ومصلحتهم من أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب ليتعارفوا..."(٨١).

وتبرز أهمية الكعبة المشرفة، في أن الأمر الإلهي ببنائها خاص، بمعنى أنه أمر إبراهيم (ع) أن يعمّر البيت في هذه البقعة بالذات، بينما الأمر ببناء المساجد الأخرى عام. وقد أراد الله سبحانه لهذا البيت أن يكون بيت العبادة العالمي، ليحُجّ إليه العالم كله، ويصلي فيه. فكما أراد الله للناس في بلدانهم أن يتوجهوا إلى مساجدهم في البلد، فجعل الصلاة في المسجد أفضل من الصلاة في البيت، أراد للناس في العالم أن يحجوا إلى البيت الحرام ليتعبّدوا له، وليلتقوا فيه، كما يوحي بذلك قوله تعالى: (ليشهدوا منافع لهم). ولذا كان الحج المناسبة العالمية التي يلتقي المسلمون فيها مع بعضهم البعض من كل مكان وناحية، ليتدارسوا أمورهم، ويتفاعلوا مع بعضهم البعض في أفكارهم، وتطلعاتهم، واهتماماتهم، ليشعروا جميعاً بالترابط العميق الذي يربطهم، وهو هذا البيت الذي يمثل قبلتهم في التوجه الى الله الواحد. وبذلك يشعرون جميعاً بالوحدة التي تقوّي منعتهم أمام كل القوى التي تعمل على إسقاطهم في كل مواقعهم ومواقفهم، وبذلك يحقق المسلمون منافع كثيرة على المستوى المعنوي والمادي معاً، في حركة العبادة، والتواصل واللقاء، كما

في حركة التجارة والتعامل الاقتصادي بين الناس

ثم إن المناسك التي شرّعها الله عز وجل في الحج تحمل في داخلها أبعاداً تربوية، تساهم في تسديد مسير الإنسان في الحياة. فشرّع الله الطواف ببيته، وفي هذ دلالة للإنسان المسلم أن من يطوف ببيت الله سبحان وتعالى، لا يطوف ببيوت الظالمين، من أجل تأييدهم، أ معاونتهم، أو دعمهم، ولا يطوف ببيوت اللهو والفجو والخمر وما أشبه ذلك، ولا ببيوت الكافرين والمشركين والفاسقين؛ لأنها بعيدة عن الله. ونحن نقرأ في القرآ الكريم عن لوط (ع): (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي سيهدين)[٨٢]. ومن يهاجر إلى الله لا يهاجر إلى أعداء الله، أو إلى الذين يعصون الله ويتمردون عليه.

فالحج له معنى عميق، يتصل بالحياة؛ حتى ورد أنّ من حجّ بإخلاص خرج من الحجّ كيوم ولدته أمّه. وعن الإمام عليّ بن الحسين (ع): "حقّ الحجّ أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك"[٨٣]. وعن الإمام الصادق (ع) "الحاجّ على ثلاثة أصناف: صنف يُعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمّه، وصنف يُحفظ في أهله وماله، وهو أدنى ما يرجع به الحاجّ"[٨٤].

ولعلّ هذا المعنى ينعكس على الذهنيّة العامّة في مسألة القيمة التي يُعطاها الحاجّ من قِبَل المجتمع فبالرغم من أن الحج واجب كالواجبات الأخرى، من الصلاة، والصوم، والزكاة، وما إلى ذلك، ولكننا لا نسمع من ينادى "بالمصلي فلان"، بينما يُنادى الحاجّ إلى بيت الله الحرام بـ"الحاج فلان"، وهذا يدل على أن للحج معنىً عميقاً في داخل الوجدان الإسلامي العام.

لهذا فعندما يناديك أحد، " يا حاج فلان"، أو المرأة "يا حاجة فلانة"، فلا بد أن ترجع إلى طوافك بين يدي الله وسعيك بين الصفا والمروة قربة إلى الله، وإلى وقوفك بعرفات والمشعر الحرام لتتأمل وتذكر الله كثيراً، وأن ترجع إلى أعمالك في منى، من الرجم المتكرر للشيطان والذبح والحلق، لتشعر في كل هذه المسيرة العبادية المتنوعة أن عليك أن تجعل كل حياتك طوافاً بين يدي

الله، وسعياً في مرضاته، ورجماً لكل شياطين الإنس والجن، الذي يحاولون أن يملأوا حياتك بالشر.

ولهذا كان الحج في تنوعّه يجمع كثيراً من مضامين العبادات الأخرى، إن لم نقل كلها. وقد أراد الله تعالى من خلال هذا التنوع في الحركة العبادية، المرتبطة به سبحانه، أن يكون في كل حياته على المنهاج الذي رسمه الله له في الحج. وقد ركّزت كثير من الأحاديث على هذا الأمر؛ ففي الحديث: "ثلاث من لم يكنّ فيه لم يتمّ له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يداري به الناس، ــ بأن تتحرك معهم بالطريقة التي لا يثير حساسياتهم في العلاقات الاجتماعية، وقد ورد في الحديث عن رسول الله (ص): "أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض[٨٥] ــ والخصلة الثالثة: "وحلم يرد به جهل الجاهل" ، بأن يكون الانسان واسع الصدر في تعامله مع الناس[٨٦]. وفي الحديث أيضاً: "ما يُعبأ بمن يؤمّ هذا البيت إذا لم يكن فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يردّ به غضبه، وحُسن الصحابة لمن صحبه"[٨٧].

فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا

والإمام علي (ع) يشدّد ــ في وصيّته ــ على أن يبقى بيت الله مملوءاً بالناس على مدار السنة، إما حاجاً، وإما معتمراً، ثم يقول الامام علي (ع): "فإنه إن تُرِكَ لم تُنَاظَرُوا"، أي أن الناس لو تركوه لنزل بهم العذاب. وهذا معنى قوله (ع): "لو ترك الناس الحج لما نوظروا العذاب..."[٨٨]، وعن سدير قال: ذكرت لأبي جعفر (الباقر) عليه السلام البيت، فقال: لو عطّلوه سنة واحدة لم يناظروا".

الحج فريضة، وهو قوله عز وجل: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني على العالمين)[٨٩]، وفسّر قوله: "ومن كفر"، بمن لم يحج،

والمقصود الكفر العملي وليعلم أن الله ليس محتاجاً لأن يحج بيته. فالحج ينفع الانسان في الدنيا والآخرة. والله هو الغني عن العالمين جميعاً.. وقد قال تعالى: (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)[٩٠]. ومع كل ذلك نجد بعض الناس مستعدين أن يذهبوا إلى شرق الأرض وغربها. ولكنهم عندما يأتيهم وقت الحج تنزل الدنيا بكل مشاكلها ومشاغلها على رؤوسهم!!. فأي ارتباط بالله هو هذا الارتباط؟!

وهناك بعض من لا يحجّ. وقد استطاع ولده. فينهاه عن الحجّ بحجّة أنّه لم يتزوّج بعدُ. أو المرأة كذلك. وكأنّ الحجّ للعجزة!. بينما لا نجدهم يمانعون أن يتفسّح أولادهم في هذا البلد أو ذاك؛ بل إنّ البعض يعتبر ذلك ديناً جديداً يتحرّك في خطّ البدعة! وهم. تماماً. كما يقول تعالى عن بعض الناس: (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل)[٩١].

وقد بلغ الاهتمام بهذا الأمر أن الانسان قد يخرج عن دينه لو استطاع الحج ولم يحج. وفي هذا المجال يقول الإمام الصادق (ع): "من مات ولم يحج حجة الإسلام. لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به. أو مرض لا يطيق فيه الحج. أو سلطان يمنعه. فليمت يهودياً أو نصرانياً"[٩٢] . يعني : فليمت على غير الإسلام؛ وأكثر من ذلك. يقول الصادق (ع): لو أن الناس تركوا الحج. لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده. ولو تركوا زيارة النبي (ص) لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده. فإن لم يكن لهم أموال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين"[٩٣].

من خلال كل ما تقدم. نلاحظ أن مسألة الحج تتصّل بالمصير عند الله عز وجل. فإن استطعت وحججت فأنت تموت مسلماً. وإن لم تحج فأنت تموت كما يموت غير المسلم.

* * *

وَاللَّهَ اللَّهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

حفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات التي تحدّثت عن الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس. وقد رُكّز في فهم هذا العنوان على جهاد العدوّ؛ لأنّ الغالب في موارد آيات الجهاد هو حالة الحرب بين المسلمين وأعدائهم. إلا أنّ الجهاد ليس مختصّاً بحالة الحرب، بل هو شامل لكلّ حالات الصراع التي يعيشها المسلم مع غيره، على أساس ما يدخل في إطار العناوين الكبرى التي يُراد له تحقيقها، بل يشمل حتى الصراع مع نوازع النفس، والذي عُبّر عنه بـ"الجهاد الأكبر". ولذلك وجدنا عليّاً (ع)، في هذه الوصيّة، يُدخل نوعاً جديداً من الجهاد، وهو الجهاد باللسان.

ومن خلال ذلك، يمكننا الحديث عن عدّة أنواع من الجهاد، تبعاً لتنوّع حالات الصراع التي تُخاض ضدّ المسلمين، والتي يُراد من خلالها إضعاف قوّتهم، تثبيط عزائمهم، وتفكيك تماسكهم.

١. الجهاد السياسي:

تواجه الأمة الكثير من التحديات السياسية التي يراد من خلالها إسقاط الأمة في حركتها من أجل حريتها، فلا بد للأمة، إزاء ذلك أن تقوم بالجهاد السياسي؛ بأن تجمع الأمة أمرها، من خلال أهل الرأي والحل والعقد، الذين يملكون التخطيط لحركة الأمة السياسية، في الداخل والخارج، في خط الحرية والعدالة، من أجل أن تقف الأمة صفاً واحداً أمام الأعداء.

وهذا ما يفرض على الأمة، عندما تأخذ بأسباب العمل السياسي، أن لا تكون السياسة عندها لعبة، أو تصفية حسابات، أو عملاً يتحرك من أجل البحث عن مطمع أو موقع أو ما إلى ذلك؛ بل أن تكون السياسة حركة في خط المسؤولية في حماية الأمة وسلامتها؛ لأنّ المسلمين مسؤولون عن تحريك الإسلام في كلّ المجالات التي

يخوضون فيها من أجل القيام بالعدل وخدمة الإنسان، لا أن يتحرّكوا فيما يتحرّك فيه الآخرون البعيدون عن القيم والأهداف الكبرى السامية التي ترتقي بالإنسان، وترتفع بالحياة في عمقها ومعناها.

وعلى ضوء ذلك، فلا بد لكل فئة من الأمة، تجد في نفسها القدرة على رعاية أمور الأمة، وحماية مصيرها من التحديات، أن تندفع في خط الجهاد السياسي، بما يحقّق للأمّة الاكتفاء في هذا المجال.

ومن الطبيعي أن تقف الأمة ضد كل الذي يريدون أن يلعبوا بمصيرها، أو أن يفرضوا أنفسهم من دون كفاءة حكاماً عليها، أو يتعاونوا مع العدو ضدها، ولا بد للأمة من أن تجاهد هؤلاء وأن تحجّم مواقعهم، وأن تعطل خططهم، من خلال خطوط الحكمة التي تزن الأمور، وتضعها مواضعها.

٢ـ الجهاد الثقافي:

وهناك تحديات تتصل بواقع الأمة الثقافي، في عقائدها ومفاهيمها، حيث يعمل الكثيرون على إضعاف الأمة في عقائدها، أو على تشويه هذه العقائد، أو على إسقاطها، من أجل تصوير الإسلام على أنه دين التخلف، أو دين الماضي الذي لا يستطيع أن يعالج قضايا الحاضر والمستقبل. ولا بد أمام ذلك من أن ينطلق علماء الأمة، ومفكروها، ليقفوا في وجه هذه الحرب الثقافية؛ بحيث يتصدون لكل شبهة، ولكل مشكلة، ويجيبون على كل مسألة، حتى يحققوا للأمة الاكتفاء الذاتي في ثقافتها، فلا تحتاج إلى الآخرين الذين قد يضللونها، ويدافعون عن كل التحديات والحملات التي يوجهها الآخرون إليها. وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي (ص): "إذا ظهرت البدع في أمّتي فليُظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله"(٩٤).

إن على كل عالم، سواء كان عالماً بالمعنى المصطلح، أو بالمعنى العام، أن يقوم بالمبادرة، فلا ينتظر الناس ليسألوه، حتى يمكن له أن يثقف الأمة بالإسلام، بحيث تتمكن من أن تحمي نفسها؛ لأن الأمة التي لا تعرف

دينها، ولا تملك ثقافة إسلامها، ولا ثقافة حركتها في الواقع، هي أمة يمكن أن يضللها المضللون، وينحرف بها المنحرفون، تلك كانت سيرة رسول الله (ص)، وسيرة علي والأئمة من أهل بيته (ع).

وفي هذا المجال نجد أن لا عذر لأيٍّ ممن يملك العلم أن يلزم بيته، ولا يخرج إلى الناس ليعلمهم في كل شؤون حياتهم، ولا سيما أن الشبهات التي يوجّهها إلى الإسلام أعداؤه، عقيدةً، وشريعة، ومنهجاً، وكتاباً، وسياسية، وواقعاً، هي شبهات متنوعة بشكل كبير جداً؛ لأن كثيراً من الناس يخلطون الحق بالباطل، فمن لا يعرف الحق من الباطل، سوف يضيع في الأباطيل التي يقدمها الآخرون باسم الحق.

وفي الوقت الذي يجب فيه على العلماء أن يقوموا بمسؤوليتهم في تثقيف الأمة، فإنّ على الأمة أن تفرض عليهم ذلك بأن تلاحقهم بالأسئلة، والله تعالى يحدّث عن الذين يكتمون علمهم: {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بينّاه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون}[٩٥].

قد كان يقال سابقاً، إن مسألة التبليغ والدعوة إلى الله واجبٌ كفائي، إذا قام به البعض سقط عن الكل، ولكن التبليغ، اليوم، أصبح واجباً عينيّاً، لا على العلماء فحسب . بل على كل مسلم ومسلمة يعرف واحدُهما حكماً شرعياً، أو تفسير آية، أو أيَّ مفهوم إسلامي، فعليه أن يبلّغ به أهله وأصدقائه، إن كل علم تحمله، هو أمانة الله عندك، وكما فرض الله على العلماء أن يعلّموا، فإنّه فرض على الجهال أن يتعلّموا.

وعلى العلماء أن يستفيدوا من الإعلام بكل وسائله، وكل جوانبه، في البرامج الثقافية، والسياسية، والاجتماعية، في الإذاعات، والتلفزيونات، والنوادي، والجامعات وما إلى ذلك؛ لأن الحملة ضد الإسلام هي حملة عدوانية من الدرجة الأولى، وتتطلّب حركة جهادٍ مضادّة تتناسب، في حجمها وقوّتها، مع ذلك.

وإذا كنّا نتحرّك سياسيّاً، فلا بدّ أن لا يشغلنا الجهاد السياسي عن الجهاد الثقافي؛ لأنه لا قيمة لسياسة،

في أمة لا تعرف قاعدتها الدينية الإسلامية. فالسياسة تنطلق من مبدأ وترتكز على قاعدة فكرية فإذا كان الناس لا يعرفون إسلامهم، فكيف سيميزون بين الخط والمستقيم والخط المنحرف؟ وإذا كان الناس لا يعرفون شريعتهم في الحلال والحرام، فكيف سيميزون بين ما هو حلال في هذا الخط السياسي، وما هو حرام في هذا الخط السياسي؟

٣ـ الجهاد المالي:

النوع الثالث من الجهاد هو الجهاد بالمال. والله سبحانه وتعالى أعطى بعضاً من أفراد الأمة قدرات مالية، وهناك أفراد آخرون يحتاجون إلى بعض هذا المال، إما على نحوٍ خاص، أو من خلال تحقيق مشاريع عامة، على أساسٍ تنويع المجالات، سواء كانت تربوية، أو صحية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو عسكرية، أو ما إلى ذلك.

وقد تحدث القرآن عن هؤلاء المجاهدين فيِ أكثر من موضع. قال الله تعالى: (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله..)[٩٦]، وقال: (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)[٩٧]، وقال عزَّ وجلَّ: (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة)[٩٨]، وقال: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأمواله بأن لهم الجنة)[٩٩]، وغيرها من الآيات.

وعندما تحدث الله تعالى عن الإنفاق في بعض الموارد، لَفَتَنا إلى أن هذا العطاء الذي نعطيه، إنّما هو مما جعلنا الله مستخلفين فيه. فقال تعالى: (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)[١٠٠]، (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم..)[١٠١]، (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)(١٠٢).

وهذا ما يفتح المجال أمام التكافل الاجتماعي من جهة، والتكامل في الجهاد بين فعاليات الأمة من جهة أخرى. فمثلاً، نحن نجد بعض أفراد الأمة لا يستطيعون أن يقوموا بالجهاد الثقافي أو السياسي أو العسكري،

ولكنهم يملكون المال، فيقدمون المال في حركة تكاملية بين مختلف القوى على الأصعدة كافة. وبذلك ينطلق أفراد المجتمع ليدعموا كل المشاريع التي تُعنى بالأيتام، والفقراء، والمساكين، وكل الذين لا يملكون أن يديروا أمورهم بشكل وبآخر. وكذلك، فإن على المجتمع أن يكفل استمرارية الأنواع الأخرى من الجهاد، كالجهاد السياسي، والثقافي، والعسكري، والأمني وما إلى ذلك، لأن المجاهدين، في هذه المجالات، لا يمكن لهم أن يستمروا إذا لم تتحمل الأمة مسؤوليتها في تمويل كل ما يحتاجونه في حركتهم الجهادية.

وإذا استطاعت الأمة أن تقوم بالجهاد المالي، فإن ذلك قد يوفّر عليها الخضوع لضغط الذين يعملون على استغلال نقاط الضعف التي قد تنشأ من حاجة الأمة إلى أموالهم ومقدّراتهم، مما قد يقود إلى الانحراف بشكل أو بآخر؛ فإنّ الإنسان تستعبدُه حاجاته. وقد ورد: استغنِ عمّن شئت تكن نظيرَه.

وقد ورد في هذا المجال عن الامام الصادق (ع) قوله: "إن الله لم ينعم على عبدٍ نعمةً إلا وقد ألزمه فيها الحجة من الله. فمن منّ الله عليه فجعله قوياً فحجّته عليه القيام بما كلّفه، واحتمال من هو دونه ممن هو أضعف منه. فمن منّ الله عليه فجعله موسعاً عليه، فحجته عليه ماله ثم تعاهده الفقراء بفرائضه ونوافله. ومن منّ الله عليه فجعله شريفاً في قومه، جميلاً في صورته، فحجته عليه أن يحمد الله تعالى على ذلك، وأن لا يتطاول على غيره، فيمنع حقوق الضعفاء لحال شرفه وجماله"(١٠٣).

٤ـ الجهاد بالنفس:

ومن أنواع الجهاد الجهاد بالنفس، وهو أعلى أنواع الجهاد، في مواجهة الأعداء الذين يريدون أن يكيدوا للإسلام والمسلمين، باحتلال بلادهم، أو الضغط عليهم، أو السيطرة على مقدراتهم، أو ما إلى ذلك. قال تعالى: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون

* يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنّات لهم فيها نعيم مقيم* خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) (١٠٤)، وقوله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن)(١٠٥). وعن علي (ع) في خطبته له قال: "أما بعد فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجُنته(١٠٦) الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، ودُيِّث بالصغار والقماءة(١٠٧) ..." (١٠٨). وعن رسول الله (ص): "فوق كلّ ذي برّ برّ، حتّى يُقتل المرء في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ"(١٠٩) .

٥- الجهاد بالكلمة:

ويبقى في وصية الإمام (ع) في الجهاد، الجهاد باللسان، الذي يتحرك في خط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فعن رسول الله (ص): لتأمُرنَّ بالمعروف، ولتنهَنَّ عن المنكر، أو ليعمنّكم عذاب الله، ثم قال: من رأى منكم منكراً فلينكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره" (١١٠).

ولذلك فإن على الإنسان، عندما يرى الباطل في أي موقع من المواقع، أن يتكلم بكلمة الحق، بالطريقة التي يؤكد فيها قوة الحق حتى ورد عن النبي (ص): "إن أفضل الجهاد كلمة عدلٍ عند إمام جائر"(١١١). وقد أوضح الإمام الصادق (ع) مراد النبي (ص) من ذلك بقوله: "هذا على أن يأمره بعد معرفته، وهو مع ذلك يقبل منه وإلا فلا" (١١٢)؛ بمعنى أن على الانسان أن يكون حكيماً في تحريك كلمته، حتى لا يخطئ الطريق من حيث يريد الإصابة، فيضر بذلك نفسه ومجتمعه بما لا يرضاه الله سبحانه وتعالى.()

* * *

وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ

بعد وصاياه (ع) في أصناف العبادات يدخل الإمام أمير المؤمنين (ع) في موضوع العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الإسلامي، ومن بينها تعزيز سُبل التواصل.

فعندما يعيش المسلمون في المجتمع، فعليهم بالتواصل مع بعضهم البعض، بكل أنواع التواصل: على مستوى اللقاء، أو الحوار، أو التعاون على البر والتقوى، أو على مستوى التشاور، وعلى أفراد المجتمع الإسلامي أن يبذل كل واحد منهم نفسه للآخر؛ بحيث يبدو وكأنه يقدم نفسه هديةً للآخر، وذلك بأن يفتح عقله وقلبه وحياته له؛ وأن لا يكتفي بالجانب الظاهري من العلاقة، أو الجانب النفعي منها، بل أن يصبح ذلك شعوراً متجذراً في القلب والعقل والحركة.

والتواصل الاجتماعي هو الأساس في سلامة المجتمع، وقوته، وإنتاجه، وقدرته على المواجهة لكل من يريد إسقاطه؛ لأن الناس إذا تواصلوا مع بعضهم البعض، اكتشف كل واحدٍ منهم ما لدى الآخر من خبرات، وطاقات، ومعلوماتٍ، قد يحتاجها في حياته، فيبذل كل واحد طاقته للآخر، وتتكامل الطاقات مع بعضها البعض ليتحقق بذلك توازن المجتمع، واكتفاؤه، وقوته. كما أن التواصل يشعر كل واحد في المجتمع أن الآخر مثل قوة له، في خلال الرابطة الإسلامية التي تقوى بالتواصل بينهما.

ولذلك نجد أن الله تبارك وتعالى ركز على جانب التعارف في علاقة الناس الذين تتنوع خصائصهم مع بعضهم البعض، فقال في كتابه: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)(١١٣) . وأفضل طريقة للتعارف هي التواصل؛ لأن التقاطع لا يفتح المجال أمام فهم أحدهم للآخر، ومعرفة ما عنده،

ومن جهة أخرى، قد يسهّل التقاطع للذين يكيدون للإسلام والمسلمين اختراق الواقع الإسلامي، من خلال نقل كلام سيّئ، أو فكرة سيّئة، عن الآخر الذي لا تواصل ببينك وبينه، فيسهل تأسيس العداوة بين أفراد المجتمع، بينما يمكن لك من خلال التواصل أن تستوضح الصورة ممن سمعت عنه، أو تسأله ويسألك، وما إلى ذلك.

والتقاطع بين المؤمنين هو من أفتك الأمراض التي تصيب المجتمع في علاقات أبنائه بعضهم ببعض، بحيث إذا اختلف إنسان مع آخر في وجهات النظر، حول أي موضوع سياسي، أو اجتماعي، أو فكري، أو عقيدي، أو فقهي، فإنّ كلّ أبواب الاتصال ومنافذه تُغلق بينهما، حتى على مستوى التحيّة والسلام في بعض الأحيان، في حين أن التواصل يفسح المجال أمام الحوار، ليصحّح كل واحد ما أخطأ فيه الآخر.

وكذلك، فإن عدم التواصل، بكل مفاعيله، يؤسّس لتغليب نقاط الخلاف التي قد لا تكون كثيرة جداً، بحيث يبدو الأمر وكأن لا نقاط مشتركة بيننا؛ فنغدو لا يوحدنا الله تعالى، ولا رسوله (ص)، ولا القرآن، ولا الشريعة، وهذا يدل على أن الإيمان لا يمثل الحقيقة الفاعلة في حياتنا؛ لأننا ننسف كل المبادئ التي تجمعنا مع الآخرين، لتبقى بعض التفاصيل في حركتنا الاجتماعية، أو السياسية، هي نقطة القوة الوحيدة التي تجمعنا؛ حتى يصل المجتمع إلى مرحلة الإلحاح في البحث عمّا يفرقنا في دوائرنا الخاصة، في الوقت الذي ندعو فيه إلى الحوار مع الآخر ممن لا ينتمي إلى دائرتنا الخاصة، وعلى سبيل المثال تجد أنّ أناساً يدعون إلى الوحدة بين المذاهب الإسلامية، بينما يطعنون عمق العلاقات بين الملتزمين بخط أهل البيت (ع)، أو أن البعض ينظّرون للحوار الإسلامي – المسيحي، ولكنهم غير مستعدين لحوار إسلامي- إسلامي، والبعض يتعامل مع الملحدين، ولا يتعامل مع المؤمنين! ألا يمثل هذا عمق التخلّف في الحركة والسلوك؟!

مثل هذا المجتمع لا يريده أمير المؤمنون (ع)، وهو الذي ضحّى بالكثير الكثير، فعندما عزم المسلمون على

بيعة عثمان، قال: "لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة" (١١٤). وكأنه يقول: لا مشكلة في أن يقع الجور عليَّ شخصياً، ما دامت سلامة المسلمين تتطلّب مني ذلك.

* * *

لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولّى عليكم شراركم، ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم

هذه هي الفقرة الأخيرة من الوصية العامة للإمام علي (ع). وقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي وصية الله عز وجل في كتابه، وذلك قوله تعالى: (ولتكن أمة منكم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن الفكر وأولئك هم المفلحون)(١١٥). وقوله:(لُعِنَ الذين كفروا من بين إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)(١١٦) . وقوله عزّ وجلّ:(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون)(١١٧) . (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتوه الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)(١١٨).

والمنكر هو كل شيء يُنكره الله، ولا يرضاه، سواء كان هذا الشيء فردياً، أو اجتماعياً، أو سياسياً، أو عسكرياً، أو ما إلى ذلك. وكل ما ينكره الله يمثل مفسدة في حياة الإنسان، في نفسه، ومجتمعه وكل واقعه. أما المعروف فهو كل ما يرضاه ويحبه الله، ويريد للعباد أن يأخذوا به ويسيروا عليه؛ لأن فيه صلاح أمرهم، وقوة

حياتهم وواقعهم.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قضية تتصل بحركة الدولة الإسلامية، من خلال القانون الإسلامي الذي تطبقه على المجتمع، لتحفظ سلامة المجتمع في الداخل، وفي مواجهة الخارج؛ إلا أن للدولة مساحات خاصة تحكم حركتها؛ إذ لا يمكنها أن تدخل إلى عمق المجتمع وتفاصيله؛ لتلاحق كل مفردات. وهنا يبرز المستوى الثاني من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مستوى مسؤولية الأفراد في ملاحقة كل واقعة من الوقائع التي يطّلعون عليها، لينهوا من يفعل المنكر عنه إلى المعروف، بهدف تكامل الخطى نحو إزالة المنكر من المجتمع الإسلامي.

وبالرغم من أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم ومسلمة على نحو الكفاية، ـ ومعنى كونه على نحو الكفاية أنه إن قام به البعض سقط عن الباقين، وإن لم يقم به الكل أثموا جميعاً ـ؛ إلا أنّه عندما تنتشر المنكرات في المجتمع وتمتد، فربما يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً عينياً على كل مسلم، باعتبار أن الحاجة قد لا تسدّها حركة المجتمع في ذلك، ما لم يضاعف من طاقته، من خلال بذل كلّ الأفراد لطاقاتهم، في سبيل إزالة المنكر ونشر المعروف.

ولذلك، لا يمكن لمسلم أن يعفي نفسه من هذه المسؤولية، ليقول: لا دخل لي في أن يشرب فلان الخمر، أو يلعب القمار، أو يتجسس لحساب الظالمين، وما إلى ذلك؛ حتى وصل الأمر بالبعض أن إذا تحدث أحدٌ مع آخر في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنّه ينكر عليه تدخله في أموره الشخصية!

وقد أصبحت مسألة حرية الإنسان أن يصنع ما يشاء، وأنه لا يحق لأحد أن يتدخل في شؤونه الخاصة، حتى لو كان يفعل المنكرات، أصبحت ذهنية عامة في مجتمعنا، وقد جاءتنا من الغرب الذي يقول بأن الفرد حرٌّ في أن يفعل ما يشاء، إلا إذا أخّل في النظام العام.

ولكن، ثمة فرقٌ بين ما عندنا وبين المبادئ غير الدينية؛ لأننا نحن نؤمن بالله، وبأن الخلق عباده، وأن الإنسان لا

يملك حرية نفسه إلاّ فيما يمنحه الله من حرية. فالله لا يعطيك الحرية في أن تضرّ نفسك مثلاً. أو أن تنهي حياتك. ويجب على الناس أن يمنعوك. وكذلك لا يجوز لك أن تتصرف مع الإنسان الذي هو ملك الله عز وجل. إلا فيما يرضي الله. وعلى كل حال فنحن مسؤولون أن نمنع الآخرين في أن يتصرفوا فيما لم يأذن به الله.

ثم يركز الإمام (ع) على أن الناس إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بحيث انشغل المسلم بنفسه عن كل ما حوله من المنكرات التي قد تظهر في المجتمع، من ترك الصلاة، ومنع الزكاة، والتجسس للظالمين، وظلم الناس وما إلى ذلك. وإذا كان الناس معتادين على الغشّ والكذب والخيانة، فهذا سيخلق مناخاً خصباً لتربية الأجيال على مثل هذه الرذائل من الأخلاق والعادات، سيؤدّي هذا أيضاً إلى أن يستشري المنكر في المجتمع، وعند ذلك سوف ينشأ قادة المجتمع من قلب المجتمع الذي يمثل المنكرُ سلوكَه العام. ويقودونه إلى مزيد من المنكر والانحراف، حتى يهلكوا المجتمع كله في نهاية المطاف. وهذه نتيجة طبيعية لحركة المجتمع في هذا الاتجاه. بل إن المجتمع يصبح قوة رادعة لنشوء قيادة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر لأنه سيكون عندئذٍ مخالفاً لهواه العام.

وفي الحديث عن رسول الله (ص) قال: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال نعم: وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟!"[١١٩] . وعنه (ص) أيضاً أنه قال: "لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البرّ والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء"[١٢٠].

ونستكشف من الحديث الأول تدرّج المجتمع في السقوط الاجتماعي، والديني، مما قد ينشأ عن ترك الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر. فأول ما يظهر الفسق في المجتمع، وليس من يردعه، فينتشر بين الناس، وهذا ما يؤدي –يؤدي في نهاية الأمر–. إلى أن تتبدل الصورة لدى الناس، فيرون المنكر معروفاً والمعروف منكراً. ومن الطبيعي أن مجتمعاً كهذا لا يمكن أن يستجيب الله له؛ لأن الله تعالى قد جعل حركة التغيير في المجتمع مرتبطة بحركة التغيير داخل النفس، وذلك قوله تعالى: (إنّ الله لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[١٢١].

وعندما نتحدّث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّه لا بدّ أن يكون ذلك بالأسلوب الطيب، والكلمة الحلوة، والوجه البشوش، كما قال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)[١٢٢]، (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن)[١٢٣]. وفي الناس الكثير من عناصر الخير؛ ولكن لا بد لنا أن نعرف مفاتيح عقول الناس وقلوبهم حتى نفتح عقولهم وقلوبهم على الخير، وعلينا أن لا نستعجل النتائج، فبعض الأمراض تحتاج إلى شهر، وبعضها إلى سنوات طويلة، فليس الأمر أنه بمجرد أن أتكلم بموعظة أن الناس سيلتزمون بالإسلام جملة وتفصيلاً، وإلا فالناس لا ينفع معها لا أمرٌ بالمعروف ولا نهي عن المنكر، المسألة تحتاج إلى صبر، وإلى تأنٍ، وإلى حكمة...

كما أن الأسلوب الأحسن قد يقتضي في بعض الأحيان عملية جراحية، ولكن ذلك حين لا تنفع كل العلاجات، فاستعمال الرفق هنا يكون خلاف الحكمة.

* * *

الوصيّة الخاصّة

وهنا نصل إلى وصيته الخاصة. حيث نجد علياً (ع) يرتفع إلى ما لا يرتفع إليه الناس، ويسموا إلى ما لا يبلغونه. من السمو الروحي والأخلاقي. فنتمثله الإنسان الذي يرتفع عن كل معنًى يتصل بالحقد.حتى الحقد على قاتله.

تصوّر أن شخصاً في مستوى علي (ع) في العظمة، يقتله شخص في مستوى ابن ملجم في الحقارة، ومع ذلك نجده يقول (ع): "إن أبقَ فأنا وليُّ دمي، وإن أعفُ فالعفو لي قربة"[١٢٤]. وكانَ يأمرُهم أن يُلينوا فراشه ويحسنوا مطعمه ومشربه. هذه النفس التي تتسع حتى لأعدائها. ونحن نعرف من خلال كلام الله عز وجل، كما نعرف ذلك من خلال سيرة علي (ع)، أنه (ع) باع نفسه لله، كما قال تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد)[١٢٥]، فلم يعد لعلي من نفسه شيء لنفسه. حتى أنه عندما يتحدث عن عذاب الله الذي يصيب مستحقّيه من المذنبين، وعلي (ع) فوق ذلك، لأنه المعصوم في عقله وقلبه وكل سيرته. ومع ذلك عندما يجلس بين يدي ربه في الدعاء الذي رواه عنه كميل بن زياد (رض)، فإنه يعبّر عن حبّه لله، بقوله: "فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك، فكيف أصبر على فراقك؟ "وهبني يا إلهي صبرت على حرّ نارك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك"[١٢٦]. فليست المشكلة عند علي، — لو كان في موقع العذاب، وحاشاه— ، أن يعذبه الله،

ولكن مشكلته أن العذاب يعني أن يفارق ربّه. وهو لا يستطيع أن يتحمل ذلك. هذا السمو الروحي هو ما يريدنا علي (ع) أن نبلغه. وإذا لم نستطع أن نبلغه أن نرتفع إليه؛ لأن قيمة الإنسان المؤمن في أن يجعل إيمانه ينفتح على ربه، ليكون ذلك وسيلة في الانفتاح على الناس كلهم. لأن الناس عيال الله وعباده.

ويتجلى هذا السمو في علي (ع). عندما جمع عائلته القريبة، وهم بنو عبد المطّلب، وهو يعرف أنه سيلاقي وجه ربه بعد الضربة التي ضربه بها ابن ملجم، ويدرك أن العشائر التي لا تزال بعض أوضاعها، على المستوى التربوي والانفعالي، مستمرة إلى وقته، بل إلى الآن، أنه عندما يقتل شخصٌ شخصاً، وخصوصاً إذا كان المقتول عظيماً، فإن أهل القتيل يعتبرون أن كل عشيرة القاتل مدانة، وأنهم يملكون حرية أن يقتلوا ما شاؤوا. فنجد الإمام (ع) وهو على فراش الموت، يوجّه عائلته إلى أن يطبقوا حكم الله تعالى على قضيته الخاصة، وهو يستهدي قول الله تعالى في ذلك: (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل..)[١٢٧]، (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس)[١٢٨]، أن ومن مبادئ العدالة الإسلامية قوله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)[١٢٩]. فمن ليس له دخل في الجريمة فلا أساس شرعياً للاقتصاص منه.

قال علي (ع) في ختام وصيّته:

يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِب، لا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ المُسْلِمِينَ خَوْضاً، تَقُولُونَ: "قُتِلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ"

لا أُلفينكم، أي لا أجدنّكم. ومعناه أن الإمام (ع) ينهاهم أن يسفكوا دماء المسلمين. تقولون: "قتل أمير المؤمنين". وأن لا أحَدَ يساوي أمير المؤمنين في العظمة.

وأنّه لا يمكن أن يُقتل به ابن ملجم فقط، لأنه لا يساوي شيئاً أمام الإمام (ع).
ثم يقرر الإمام (ع) حكم الله عز وجل، فيقول:

ألا لا تَقتُلَنَّ بي إلاّ قاتِلي

فليس هناك طبقية في القصاص، فلو أن القاتل أقل الناس، والمقتول أعظم الناس، يبقى الحكم الشرعي هو أن يقتل القاتل، ولا يقتل غيره. وهذا هو الخط الإسلامي الذي أراد أن يركزه في وعي عائلته في قضيته الخاصة، التي كانت من القضايا التي لا يصبر عليها.

ونحن نحتاج إلى أن نطبق هذا المعنى في كل حياتنا، لا في موضوع القتل والقصاص فحسب، بل في الخلافات والنزاعات التي تنشأ بين الناس، فقد تحدث نزاعات عائلية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، وما أكثرها بين الناس!، والموجود في مجتمعاتنا ـ بشكل عام ـ أنه إذا اختلف أحدنا مع الآخر، فهذا يعني أن كل جماعته سيختلفون مع هذا الآخر، ومع جماعته في بعض الحالات، مع كل ما يستتبعه الخلاف من سلبيات على مستوى الممارسة، من اضطهاد، وشتائم، وظلم، وما إلى ذلك.

إن الخط الإسلامي هو أن كل إنسان يتحمل هو مسؤولية عمله، ولا يتحمل الآخرون شيئاً منه إلا ما كان مسبباً له أو مشاركاً فيه، وهو الذي أكده الله تعالى عبر الرسالات السماوية، قال تعالى: (أو لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفّى* أن لا تزر وازرة وزر أخرى)[١٣٠] . فعندما يأخذ الناس بهذا المبدأ في كل سلوكهم وممارساتهم فإنهم يأخذون بأسباب العدالة في ذلك، وعندما ينحرفون عنه فإنهم ينحرفون عن خط العدالة.

ومن الطريف أن مسألة الخلافات وسوء الممارسة فيها قد وصلت إلى الزواج، حيث تجد شاباً اتفق له أن سيتزوج بفتاة، ولكن وجد أن جد هذا الشاب كان قد اختلف مع

جدها. وإذا بالمجتمع يضغط في سبيل منع الزواج. وهذا يعتبر نوعاً من أنواع التخلف والانحطاط الفكري، لا أنه بعيد عن العدالة فحسب.

لا يكفينا أن نقول عن أنفسنا أننا متحضرون، لأنّنا نأخذ ببعض الآلات التي انتجتها الحضارة التكنولوجية، بل أنت تكون حضارياً بمقدار ما تكون أخلاقك وسلوكك في خط الحضارة تتحرك.

وعندما ندرك أننا مجتمع أكثر ما فيه النزاعات والخلافات، التي لو استغرقنا فيها من دون مراعاة الموازين الشرعية، والأخلاق الإسلامية، لجرفتنا بعيداً في متاهات الجهل والعصبية، ولوجدنا أنفسنا نعيش من الدين اسمه، من دون أي مضمون.

والأمر الآخر الذي يريد الإمام أن يركزه هو أن يكون قتل القاتل بالكيفية الإسلامية بعيداً عن التفشي والغضب، فيقول:

انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَ لاَ تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "إِيَّاكُمْ وَ الْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ".

المثلة هي التشويه بقصد التنكيل، قبل القتل أو بعده، بأن تقطع أيدي القاتل، وأرجله، وما إلى ذلك. وهنا يريد الإمام (ع) أن يُطبّق مبدأ آخر، وهو مبدأ يتّصل بالعدالة أيضاً، وهو قوله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)[١٣١]، فإن سبّك مرة، سببته مثلها، لا أكثر، وإن شتمك فالرد عليه لا على أبيه مثلاً، وإن ضربك ضربة واحدة ضربته مثلها. والإمام (ع) يوصيهم بأن يكون القصاص من قاتله على هذا المنهاج، ثم أن لا يأخذ بهم الغضب والتشفي، فيعملوا على أن يمثّلوا به، فيقومون بتشويهه، أو بقطع

أطرافه. وقضية القصاص تنطلق من خلال حماية الحياة الاجتماعية للناس، ولا تنطلق من خلال الانفعال، وتفجير الغيض، والتّفشي، وما إلى ذلك.

ونستوحي من هذا أنه لا يجوز أن يكون رد الاعتداء بغير ما اعتدي به، فإذا ضربك أحدهم على خدك فلا يجوز ضربه. ولو قتل لي قريباً، فلا يجوز أن أحرُق بيته، وما أشبه ذلك..

وقد طبق الإمام هذا المبدأ على نفسه في حياته: إذ روي أنه كان جالساً في أصحابه، فمرت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم، فقال (ع): "إن أنظار الفحول[١٣٢] طوامح، وإن هذا سبب هبابها[١٣٣] ، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله، فإنما هي امرأة كامرأته". فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه، فوثب إليه القوم ليقتلوه، فقال (ع): "رويداً، إنما هو سبٌّ بسبّ، أو عفو عن ذنب"[١٣٤] وهو بذلك يقول لنا أن على الإنسان أن يسير على حسب التكاليف الشرعي في كل أموره، والله يقول: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) [١٣٥] ، ولذا فمن حقّي أن أسبّه، أو أعفو عنه. والله يقول أيضاً: (وأن تعفوا أقرب للتقوى)[١٣٦] .وهكذا نتعلم من علي (ع) أن لا نؤاخذ إلا المعتدي، حتى نأخذ بالعدالة الإسلامية، التي هي سبيل استقرار المجتمع وخلاصه.

هذا علي (ع) في معناه، وفي سموّه، في عظمته، وفي محبته لربه، ومراقبته له. وها هو ينادينا من عليائه: "ألا وإن لكل مأموم إماماً، يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه[١٣٧]، ومن طعمه بقرصيه[١٣٨] . ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع، واجتهاد، وعفة، وسداد" [١٣٩].

الهوامش

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.
(٢) تاريخ الطبري، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج٤، ص٣٤.
(٣) تاريخ الطبري، م. سابق، ص٣٦.
(٤) م.ن.، ص ٣٧.
(٥) نهج البلاغة، من كلام له (ع) لمّا سمع قولهم "لا حكم إلا لله"، رقم ٤٠.
(٦) سورة البقرة، الآية ٧.
(٧) ابن أبي جمهور الإحسائي، عوالي اللآلي، ج٤، ص٧٧، ورواه في بحار الأنوار: ج٢، كتاب العلم، باب ١٥(ذم علماء السوء) ح٢٥.
(٨) نهج البلاغة، من كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، رقم ٤٥.
(٩) سورة البقرة، الآية ٢٠٧.
(١٠) بحار الأنوار، ج٢٨، ص١٩٠، ح٢.
(١١) مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٣١٧.
(١٢) سورة البقرة، الآية ١٩٧.
(١٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣.
(١٤) بحار الأنوار، ج٧٠، ص ٢٨٥، ح٨.
(١٥) سورة الحجر، الآية ٣٧.
(١٦) سورة القصص، الآية ٧٧.
(١٧) سورة النحل، الآية ٤٠.
(١٨) سورة الفجر، الآيات ١٥-١٧.
(١٩) سورة الحجرات، الآية ١٣.
(٢٠) سورة الحديد، الآية ٢٣.
(٢١) نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم ٤٣٩.
(٢٢) نهج البلاغة، من كتاب له (ع) إلى عبد الله بن العباس، رقم ٦٦.
(٢٣) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ج٧، ص ٣٠٠، ح١٧.
(٢٤) المصدر السابق، ص ٢٩٨، ح٩.
(٢٥) المصدر السابق، ص ٢٩٨، ح١٠.
(٢٦) سورة الجمعة، الآية ٩.
(٢٧) بحار الأنوار، م٧٨، ص ١٢٠، ح١٧.
(٢٨) سورة الأحزاب، الآية ٤٤.
(٢٩) سورة الأنعام، الآية ١٦٠.
(٣٠) سورة هود، الآية ١١٣.
(٣١) وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٣٥، ح٣.
(٣٢) الإمام زين العابدين (ع)، الصحيفة السجادية، من دعائه في الاعتذار من تبعات العباد، ومن التقصير في حقوقهم، وفي فكاك رقبته من النار.
(٣٣) نهج البلاغة، حكم أمير المؤمنين (ع)، رقم ١٨.
(٣٤) الكليني، الكافي، ج٢، ص ٣٣٤، ح١٨.
(٣٥) نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم ١٥٤.
(٣٦) سورة النساء، الآية ٣٥.
(٣٧) سورة الحجرات، الآية ١٠.
(٣٨) سورة الحجرات، الآية ٩.
(٣٩) سورة الأنفال، الآية ٢٥.
(٤٠) بحار الأنوار، م٣٢، ج٩٠، ص٤٦٥، ب٤٢، ح٢١.
(٤١) سورة النساء، الآية ١١٤.
(٤٢) الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٠٩، ح١.
(٤٣) المصدر السابق، ص٣٤١، ح١٦.
(٤٤) المصدر السابق، ص٢١٠، ح٥.
(٤٥) سورة الحجر، الآية ٤٧.

(٤٦) الخصال: ٢٤٩/١٨٣، نقلاً عن ميزان الحكمة للريشهري، م٤، ص٢٣٧٠، ح٢٠٧٠١.
(٤٧) سورة الأنعام، الآية ١٥٢.
(٤٨) سورة النساء، الآية ١٠.
(٤٩) الدرّ المنثور، ج١، ص ٦١٢.
(٥٠) روي عن عليّ (ع): "حريم المسجد أربعون ذراعاً، والجوار أربعون داراً من أربعة جوانبها" (عن الخصال: ٢٠/٥٤٤/٢)، وعن رسول الله (ص): "أربعون داراً جار" (وسائل الشيعة: ٤٩١/٨/ ب٩٠).
(٥١) أمالي الصدوق: ١٣/١٦٨.
(٥٢) أمالي الطوسي: ١١٤٥/٥٢٠.
(٥٣) وسائل الشيعة: ٤٨٩/٨/ب٨٧.
(٥٤) النسيان من الراوي، وهو عمرو بن عكرمة (عن ميزان الحكمة للري شهري).
(٥٥) وسائل الشيعة: ٢٨٧/٨/ ب٨٦.
(٥٦) الكافي: ٢٤/٦٦٨/٢.
(٥٧) بحار الأنوار:١١/١٩١/٧٧.
(٥٨) مسكن الفؤاد: ١٠٥ (نقلاً عن ميزان الحكمة للري شهري، باب الجار).
(٥٩) الكافي، ج٥، ص٩، ح١.
(٦٠) سورة المائدة، الآية ١٥.
(٦١) سورة إبراهيم، الآية ١.
(٦٢) سورة المائدة، الآية ١٦.
(٦٣) سورة محمّد، الآية ٢٤.
(٦٤) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.
(٦٥) سورة البقرة، الآية ١٢١.
(٦٦) سورة الزمر، الآية ١٨.
(٦٧) وسائل الشيعة، ج٤، ص٢٧، ح٦.
(٦٨) سورة المدّثّر، الآيات ٣٨ـ ٤٣.
(٦٩) سورة المؤمنون، الآيتان: ١-٢.
(٧٠) سورة المؤمنون، الآية ٩.
(٧١) مجمع البيان: ٥/ ٣٠٨.
(٧٢) بحار الأنوار: ٥٣/٢٢٧/٨٢.
(٧٣) الكافي: ٩/٢٦٦/٣.
(٧٤) سورة الجمعة، الآية ١١.
(٧٥) نقله عن عوالي اللآلئ الطباطبائي في تفسير الميزان، ج١٩، ص ٢٨٨-٢٨٩.
(٧٦) سورة طه، الآية ١٣٢.
(٧٧) الإمام زين العابدين (ع)، دعاء أبي حمزة الثمالي، مفاتيح الجنان.
(٧٨) سورة التحريم، الآية ٦.
(٧٩) سورة آل عمران، الآيتان ٩٦-٩٧.
(٨٠) سورة الحج، الآيتان: ٢٨-٢٧؟
(٨١) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ص٤٠٥، ح٦.
(٨٢) سورة العنكبوت، الآية ٢٦.
(٨٣) الخصال: ١/٥٦٦.
(٨٤) الكافي: ٢٦٠/٤/ح٤٠ (ط. دار التعارف، بيروت، لبنان).
(٨٥) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٠٠، ح٢١.
(٨٦) الكافي، ج٢، ص١٦٦، ح١.
(٨٧) الخصال: ١٨٠/١٤٨.
(٨٨) وسائل الشيعة، ج١١، ب٤ من أبواب وجوب الحجّ وشرائطه، ح١.
(٨٩) سورة آل عمران، الآية ٩٧.
(٩٠) سورة فاطر، الآية ١٥.
(٩١) سورة النساء، الآية ٣٧.
(٩٢) وسائل الشيعة، م. سابق، باب ٧ من أبواب وجوب الحج، ح١.
(٩٣) المصدر السابق، باب ٦ من أبواب وجوب الحجّ، ح٢.
(٩٤) الكافي، ج١، ص٥٤، ح٢.
(٩٥) سورة البقرة، الآية ١٥٩.
(٩٦) سورة التوبة، الآية ٤١.
(٩٧) سورة البقرة، الآية ٢٦١.
(٩٨) سورة النساء، الآية ٩٥.
(٩٩) سورة التوبة، الآية ١١١.
(١٠٠) سورة الحديد، الآية ٧.
(١٠١) سورة النور، الآية ٣٣.
(١٠٢) سورة المعارج، الآيتان: ٢٤-٢٥.
(١٠٣) الكافي، ج١، ص١٦٣، ح٦.
(١٠٤) سورة التوبة، الآيات:٢٠-٢٢.
(١٠٥) سورة التوبة، الآية ١١١.
(١٠٦) جُنّته: وقايته
(١٠٧) القماءة: الذل
(١٠٨) نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.
(١٠٩) وسائل الشيعة، ج١٥، الباب ١ من أبواب وجوب الجهاد، ح٢١.
(١١٠) المصدر السابق، ج١٦، الباب ٣ من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح١٢.
(١١١) الكافي، ج٥، ص١٠، ح١٦.

(١١٢) المصدر السابق، ب٢، ح١.
(١١٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.
(١١٤) نهج البلاغة، الخطبة ٧٤.
(١١٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.
(١١٦) سورة المائدة، الآيتان ٧٨-٧٩.
(١١٧) سورة التوبة، الآية ٦٧.
(١١٨) سورة التوبة، الآية ٧١.
(١١٩) وسائل الشيعة، ج١٦، باب ١ من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح١٢.
(١٢٠) المصدر نفسه، ح١٨.
(١٢١) سورة الرعد، الآية ١١.
(١٢٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.
(١٢٣) سورة الإسراء، الآية ٥٣.
(١٢٤) نهج البلاغة، الكتاب ٣٣.
(١٢٥) سورة البقرة، الآية ٢٠٧.
(١٢٦) فقرة من الدعاء الذي رواه كميل بن زياد عن عليّ (ع). مفاتيح الجنان.
(١٢٧) سورة الإسراء، الآية ٣٣.
(١٢٨) سورة المائدة، الآية ٤٥.
(١٢٩) سورة الإسراء، الآية ١٥، ووردت أيضاً في سورة الأنعام، الآية ١٦٤، وفي سورة الزمر، الآية ٧.
(١٣٠) سورة النجم، الآيات ٣٨-٣٦.
(١٣١) سورة البقرة، الآية ١٩٤.
(١٣٢) الفحول: كناية عن حالة الشهوة.
(١٣٣) هبابها: هيجانها.
(١٣٤) نهج البلاغة، باب الحكم، رقم ٤٢٠.
(١٣٥) سورة البقرة، الآية ١٩٤.
(١٣٦) سورة البقرة، الآية ٢٣٧.
(١٣٧) الطمر: الثوب الخلق البالي.
(١٣٨) القرص: الرغيف.
(١٣٩) نهج البلاغة، من كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، رقم ٤٥.

هذا الكتاب

يضمّ هذا الكتاب سلسلة من المحاضرات الرمضانية، شرح فيها سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله وصيّة الإمام عليّ (ع) للحسن والحسين (ع)، لمّا ضربه ابن ملجم، وهو يصلّي في محرابه صلاة الفجر، وقد غلب عليها الطابع الشعبي الذي لم يخلُ من ملامسة العمق في الفكرة، والجزالة في الأسلوب.

والله نسأل أن يعمّ بها النفع والفائدة، إنّه سميع مجيب.

دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بيروت ـ لبنان، حارة حريك، قرب مستشفى الساحل، هاتف ٠٣/٧٥٥٦٠٠ ـ ٠١/٤٥٠٧٦٩
ص.ب ٢٥/١٥٨ الغبيري ـ Int: www.dar-almalak.com Email: dam@dar-almalak.com

ISBN 9953-60-025-2

